جامعة نجران

قسم الدراسات الإسلامية

الملل والنحل

٣٢٥سلم-٢

المستوى : الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

- وقفات مع حديث الافتراق

حديث مشهور عن النبي -صلى الله عليه وسلم قال - " لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلاَنِيَةً، لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِى النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً قَالُوا وَمَنْ هِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي". ومدار كلام الأكثرين على هذا الحديث، بل لا يكاد يتكلم أحد في الخلاف إلا وذكره،

وهنا وقفات مع هذا الحديث :-

-هذا الحديث لم يخرجه صاحبا الصحيح: البخاري ومسلم؛ وهذا بطبيعة الحال لا يعني عدم صحته، لكنَّ عدم تخريجهم له -والله أعلم -ربما لأنه يتقاصر عن شرطهم فيما يخرجونه من الأحاديث .

-الحديث رواه أحمد وأهل السنن من طرق، ومن العلماء من صححه أو حسنه كالترمذي، والحاكم، والذهبي، وابن تيمية، والشاطبي، وابن حجر وغيرهم، ومنهم من ضعفه كابن حزم وابن الوزير وغيرهم، ومذهب الأكثرين في ثبوت الحديث أقوى؛ فإن الحديث بمجموع طرقه ثابت، لكن لا يجب أن ينظر إليه وكأنه لم يرد في باب الاختلاف غيره .

- هذه الفرق الثنتان والسبعون أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنهم من أمته، و"ستفترق هذه الأمة" و"ستفترق أمتي"، إذاً هم ليسوا بكفار ولا مشركين، لكنهم مسلمون مؤمنون، وقد يكون فيهم المنافق، أو الكافر، لكن فيهم كثير كثير من هذه الأمة من أهل الإيمان والإسلام، وإن كان عندهم نوع من الاختلاف ونوع من التقصير، وهذا رجحه أهل العلم كابن تيمية والشاطبي وغيرهم .

-وهذا وعيد لا يلزم تحققه، ولذا يقول ابن تيمية- رحمه الله-:هذا الحديث ليس بأعظم من قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً) [النساء:١٠]، وقوله سبحانه: (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً) [النساء:٣٠]. ومع ذلك لا نشهد لمعين بالنار؛ لإمكان توبته من ذنبه، أو كانت له حسنات محت سيئاته، أو كفر الله عنه بمصائب وغير ذلك .

١

-ولم يكن من شأن السلف -رضي الله عنهم- الاشتغال بتعين هذه الطوائف، كما ذكر الشاطبي في الموافقات وابن تيمية وغيرهم، فإن ابن تيمية -رحمه الله- يقول: من كان من الثنتين والسبعين فرقة منافقاً؛ فهو كافر في الباطن، ومن لم يكن منافقاً في الباطن بل كان مؤمناً بالله ورسوله لم يكن كافراً وإن أخطأ في التأويل كائناً ما كان خطؤه، وإذا قال المؤمن: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ) [الحشر: ١٠]؛ فإنه يقصد كل من سبقه من قرون الأمة بالإيمان، وإن كان قد أخطأ في تأويل تأوله فخالف السنة، أو أذنب ذنباً؛ فإنه من إخوانه الذين سبقوه بالإيمان؛ فيدخل في العموم، وإن كان من الثنتين والسبعين فرقة؛ فإنه ما من فرقه إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفاراً؛ بل مؤمنون فيهم ضلال وذنب يستحقون به الوعيد .

ثم يقول -رحمه الله-: مع أن حديث الثنتين والسبعين فرقة ليس في الصحيحين؛ فقد ضعفه ابن حزم وغيره، لكن حسنه غيره أو صححه كما صححه الحاكم، وقد رواه أهل السنن من طرق .

إن مثل هذا الحديث ينبغي أن يوضع في إطاره الصحيح، وإن كان ثابتاً عندنا إلا أنه ينبغي ألا يُتعدى به قدره، وألا يكون سبباً لإشاعة الفرقة والخلاف بين المؤمنين .

- الدعوة للاجتماع على الحق ونبذ الفرقة والاختلاف:

من مقاصد الدعوة إلى الله عز وجل الحرص على ائتلاف القلوب واجتماع الكلمة ووحدة الصف، والبعد عن التفرق والاختلاف والتحذير من ذلك ومنع أسباب التنازع والشتات .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا الأصل -وهو الاعتصام بحبل الله جميعا وألا نتفرق - هو من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه، ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم، ومما عظمت به وصية النبي [في مواطن عامة وخاصة». (الفتاوى ٣٥٧/٢٢).

وقد دلت على هذا الأصل نصوص كثيرة من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله [ومن الآثار عن الصحابة وغيرهم؛ مما يؤكد أهمية هذا الأصل وضرورته للمجتمع المسلم في بقائه واستمراره، فمن ذلك:

١ - قوله عز وجل: {واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا}.

قال ابن كثير: «أمرهم الله عز وجل في الآية الكريمة بالجماعة ونهاهم عن الفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف، وقد ضمن الله لهم - أي للمسلمين - العصمة من الخطأ عند الاتفاق، وخيف عليهم الخطأ عند الافتراق والاختلاف»اهـ.

وقال القرطبي: «إن الله يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة؛ لأن الفرقة هلكة والجماعة نجاة».

٢ - قال عز وجل: {وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم}.

قال الشيخ ابن سعدي: «(ولا تنازعوا) تنازعا يوجب تشتت القلوب وتفرقها (فتفشلوا) أي تجبنوا (وتذهب ريحكم) أي تنحل عزائمكم وتتفرق قوتكم ويُرفع ما وُعدتم به من النصر على طاعة الله ورسوله».

٣ـ قال تعالى: {ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم}.

قال الشيخ ابن سعدي: «نهاهم عن سلوك مسلك المتفرقين، الذين جاءهم الدين بالبينات الموجب لقيامهم به واجتماعهم فتفرقوا واختلفوا وصاروا شيعا، ولم يصدر ذلك عن جهل وضلال، وإنما صدر عن علم وقصد سيئ وبغي من بعضهم على بعض؛ ولهذا قال: {وأولئك لهم عذاب عظيم}».

٤ـ ومن السنة المطهرة ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة أن النبي [قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال».

قال النووي: «قوله [: «ولا تفرقوا» أمر بلزوم جماعة المسلمين وتألّف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام».

٥ـ عن ابن عباس أن النبي [قال: «يد الله مع الجماعة» أخرجه الترمذي.

٦ـ وعن ابن عمر عن رسول الله [أنه قال: «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة؛ فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة» أخرجه الترمذي.

٧ـ عن النعمان بن بشير أن النبي [قال: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب» أخرجه ابن أبي عاصم في السنة وحسنه الشيخ الألباني.

٨ـ أخرج مسلم عن جابر أن النبي [قال: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»، قال القرطبي: «أي في الخلاف والشرور والعداوة والبغضاء حتى تكون من ذلك أمثال تلك الفتن العظيمة والخطوب الجسيمة».

وأما الآثار : فعن ابن مسعود أنه كان يخطب ويقول: «يأيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنهما حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة»، وقال أيضا في معنى قوله تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعا}، قال: «حبل الله الجماعة». وقال علي بن أبي طالب: «اقضوا ما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي».

وقال ابن عباس في معنى قوله تعالى: {ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله}، وقوله: {أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه}، قال: «أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة».

وقال شيخ الإسلام: «من قواعد الدين العظيمة التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين، فإن الله تعالى يقول: {فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم}، وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف وتنهى عن الفرقة والاختلاف، وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة، كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة، وجماع السنة: طاعة الرسول [(الفتاوى ٥١/٢٨). ويقول أيضا: «ومعلوم أن ائتلاف قلوب الأمة أعظم في الدين من بعض هذه المستحبات؛ فلو تركها المرء لائتلاف القلوب كان ذلك حسنا».

ويقول أيضا: «وباب الفساد الذي وقع في هذه الأمة بل وفي غيرها هو التفرق والاختلاف، فإنه وقع بين أمرائها وعلمائها من ملوكها ومشايخها وغيرهم من ذلك ما الله به عليم، وإن كان بعض ذلك مغفورا لصاحبه لاجتهاده الذي يغفر فيه خطؤه أو لحسناته الماحية أو توبته أو لغير ذلك، لكن يعلم أن رعايته من أعظم أصول الإسلام، ولهذا كان امتياز أهل النجاة عن أهل العذاب من هذه الأمة بالسنة والجماعة»(الفتاوى ٢٢/ ٣٥٦ وما بعدها) .

الفصل الثالث

من الفرق العقائدية في الإسلام

● مقدمة عامة ● الشيعة الإمامية
● الإباضية ● المعتزلة ● الزيدية
● الأشاعرة ● الماتريدية

مقدمة عامة

لقد كان ظهور الفرق العقدية والفكرية في الأمة الإسلامية خاضعاً لأسباب داخلية عاشها المسلمون في مراحل نشأة هذه الفرق.

ولعل أول أسباب ظهور هذه الفرق يتمثل فيما عاشه بعض المسلمين من انحراف عن المنهج (*) الإسلامي الصحيح والمحجة البيضاء، فلقد تضمن الكتاب والسنة كل ما يهدي المسلمين إلى طريق الحق، ولذا فهما معيار الاستقامة وعدم الانقسام على النفس، ولكن بعض المسلمين تركوا المنهج الواضح الذي رسمه الشارع الأعظم وحادوا عن منهج أهل السنة والجماعة(*) من سلف الأمة الصالح، وركنوا إلى بعض التصورات العقلية بمنأى عن الهداية العقدية الواردة فيهما فضلوا وأضلوا. وسنرى مثالاً لذلك بعض الفرق التي نشأت في أواخر عهد الخلفاء الراشدين والدولتين الأموية والعباسية.

وكذلك فإن من أسباب ظهور هذه الفرق إتاحة بعض المسلمين الفرصة للتأثير الأجنبي فيهم من خلال الثقافات الوافدة التي استطاعت أن تنفذ إلى بعض فئات المجتمع الإسلامي الهامة فتأثرت وأثرت. وساعد على ذلك دخول بعض الحاقدين ساحة التأثير في المنهج(*) الإسلامي، فبدأ نوع من الاستقطاب لقطاع من المسلمين فانحرفوا بعقيدتهم، وبدؤوا يضعون بعض المبادىء الهدامة التي واكبت مسيرتهم. لذا فقد كان لإعطاء الفرصة للتأثير الأجنبي من خلال الثقافات الوافدة أو من خلال الحاقدين أثر هام في تكون هذه الفرق.

وإذا كان العاملان السابقان قد أوجدا ـ مع غيرهما ـ مناخ التفرق وساعدا على وجوده وتغلغله في المجتمع إلا أن هناك عاملاً ثالثاً ساعد على استمرار هذا التفرق ويتمثل هذا العامل في ركون بعض المسلمين إلى السلبية وعدم قيامهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث لم يسعوا سعياً حثيثاً لرأب الصدع واستشعار المعنى العميق للوحدة الإيمانية

وما تستلزمه من محبة وأخوة.

ومع أن الأصل هو استفادة الأمة من دروس الماضي إلا أن العصر الحاضر يشهد بدوره ـ وبكل أسف ـ تفرقاً جديداً، وظهور فرق فكرية جديدة، ولعل مرجع ذلك هو عدم استفادة الأمة من دروس الماضي، ومن ثم عدم تجدد التزامها بالإسلام وعدم الوقوف صفًّا واحداً على كلمة واحدة هي منهج الله سبحانه، منهج أهل السنة والجماعة(*)، وتفويت الفرصة على أعداء الإسلام. وهكذا يعيد التاريخ نفسه، للأسف الشديد، بين كثير من قطاعات المسلمين.

وإذا عدنا أدراجنا إلى البدايات الأولى لظهور الفرق في الإسلام فإنه يمكن الإشارة في هذا الصدد إلى أواخر عصر الخلافة(*) الراشدة، فلقد نشأت الفرق الإسلامية في أواخر عصر الخلفاء الراشدين، وتبلورت أفكارها في العصور التالية، ثم تعمق وجود هذه الفوارق لأسباب لاحقة.

● أما في عهد الرسالة وبداية عهد الخلفاء الراشدين فقد كان المسلمون يشكلون وحدة حقيقية، عقيدة وفكراً وجماعة. وإذا ظهر خلاف ما في الرأي، فسرعان ما ينتهي إلى وفاق، بسبب الاحتكام المباشر إلى الكتاب والسنة.

● وبدأت الفتن والفرقة بين المسلمين في أواخر عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه... حيث جأر البعض بالشكوى من ولاة عثمان، ثم بدأت الشكوى من عثمان ذاته بمقولة أنه يولي العمال من ذوي رحمه.

ـ ثم تحولت الشكوى إلى الطعن في دينه على يد بعض المارقين.

ـ ثم قتل عثمان رضي الله عنه مظلوماً بيد فئة ظالمة غرر بها.. ففتح بذلك باب القتل والقتال بين المسلمين.

● وبعد تولي علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة، اتهمه البعض بأنه مالأ قتلة عثمان، ولم يقتص منهم.

ـ فوقع القتال بين علي وبين الزبير وطلحة وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم جميعاً.

ـ ثم وقع القتال بين علي ومعاوية.. وانتهى بواقعة التحكيم المعروفة.

ـ وبعد التحكيم كانت البداية الفعلية للافتراق في الأمة بظهور الخوارج(*) والشيعة(*).

ـ وكانت الأولى الخوارج(*): قال شيخ الاسلام ابن تيمية «كان أول من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع الخوارج المارقون».

ـ وقال: «وهم أول من كفَّر(*) أهل القبلة بالذنوب، بل بما يرونه هم من الذنوب، واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك». وسموا بالناصبة أيضاً لمناصبة علي رضي الله عنه وآله

العداء، وصرّحوا ببغضهم. وظهروا في ١٠ من شهر شوال عام ٣٧هـ ببيعتهم «عبد الله بن وهب الراسبي»

ـ الثانية: الشيعة(*): أي من ادعوا أنهم شيعة عليّ وأبنائه، وقد افترقوا على فرق عدة أقلها غلّواً من قال منهم بأن عليًّا أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر مثل الزيدية.

ظهر بجانب مسألة التكفير مسألة القدر التي قال بها معبد الجهني في آخر القرن الأول، وكثر الكلام حولهما في آخر عهد علي بن أبي طالب.

● ثم ظهرت المرجئة(*) في آخر القرن الأول كذلك.

● ثم ظهر التعطيل(*) على يد الجعد بن درهم والجهم بن صفوان في أول القرن الثاني الهجري.

ـ ثم نادى جهم بن صفوان في أوائل القرن الثاني الهجري بالجبر(*) وهو الذي قال: لا إرادة للإنسان بجوار إرادة الله.

● وظهرت المعتزلة التي تنادي بالإرادة الإنسانية المطلقة، لأنه سبحانه وتعالى خلق الإنسان حرًّا مختاراً، وهذه الحرية هي أساس التكليف وعليها يترتب الحساب والعقاب.

ـ ثم أثيرت مسألة صفات الله وكلامه، ومسألة خلق القرآن، أهو مخلوق أم قديم؟ أثار ذلك الجهم بن صفوان والجعد بن درهم في العصر الأموي، ثم اشتد الأمر في العصر العباسي، فكان امتحان إمام أهل السنة أحمد بن حنبل.

ـ وتعددت الفرق وتشعبت بتأثير كتب الفلسفة(*) اليونانية والهندية التي ترجمت إلى العربية. فأصبحت الفرق فرقاً متعددة، وهكذا انقسمت المعتزلة إلى فرق كثيرة.. منها: الواصلية ورائدها واصل بن عطاء، والهذلية ورائدها أبو الهذيل العلاف.

وانقسمت الشيعة إلى فرق أقل غلواً وفرق غالية انحرفت كلياً عن طريق الإسلام مثل الإسماعلية والنصيرية والدروز وغيرهم.

ـ ثم ظهرت الأشاعرة والماتريدية للتصدي للفلاسفة والباطنية(*) والرافضة(*) ولكسر سورة المعتزلة الجهمية(*)، فكان لهم جهادهم المشكور إلا أنه كان لاستخدامهم مناهج(*) الفلاسفة والمتكلمين ومحاولة التوفيق بينهم وبين أهل السنة والجماعة(*) أثره البالغ في تأثرهم ببعض أفكارهم وعقائدهم على ما سيأتي بيانه.

ـ وإن اهتمامنا في هذه الموسوعة(*) بهذه الفرق ودراستها بشكل منهجي متقن، ليس لإحياء فكرها بعد أن مات بعضها واندثر، ولا من باب الترف الفكري، وإنما لأسباب نجملها فيما يلي:

١ ـ أن ذكر الفرق تاريخياً له أصوله في القرآن الكريم والسنة المطهرة. فقد توسع القرآن في ذكر قصص الأمم البائدة صالحها وسيئها، وذكر أقوال رؤسائهم وقادتهم، وما عملوه تجاه رسل الله، وكذلك قص علينا الرسول الكريم ﷺ من قصص الأمم السالفة والدروس المستفادة من ذلك. . .

٢ ـ أن تبيان أفكار هذه الفرق صحيحها وفاسدها، مستقيمها ومنحرفها ضرورة حتى يكون المسلم على بينة من عقائدها، وحتى لا يخدع بكلامهم وفعالهم إن ذكرت في كتب المتأثرين بهذه الفرق أو كتب أتباعها المعاصرين. .

٣ ـ كثير من أفكار هذه الفرق تتجدد وتلبس ثياباً أخرى غير التي كانت تلبسها سابقاً، أو تتسمى بأسماء براقة تغري الذي يشاهدها أو يسمع بها، والمسلم الحصيف هو الذي يعرف أوجه التشابه بين الأفكار القديمة والأفكار الحديثة.

٤ ـ والهدف من معالجة هذه الفرق هو أن يكون عند المسلم المثقف مرجع تاريخي مركز ومختصر يرجع إليه عندما يحتاج إلى الاطلاع على هذه الفرق وعقائدها وأفكارها وأماكن انتشارها. .

هذا مع العلم أن كثيراً من هذه الفرق لا زالت تعيش، وبعضها يتوسع على حساب الإسلام مثل فرقة الشيعة(*) والروافض(*) التي صار لها دولة تدعو إلى أفكارها بكل الوسائل العلمية والثقافية ـ وغزت بمدارسها ودعاتها قارة أفريقيا والشرق الأقصى. .

وبعد:

فهذه نقاط هامة لا بد من أن نذكرها في مقدمة سرد الفرق الإسلامية في هذه الموسوعة. . داعين المولى تعالى أن يوفق المسلمين إلى طريق الإسلام القويم، وإلى توحيد أفكارهم وعقائدهم على طريق الكتاب والسنة، حتى يعيدوا ماضيهم التليد الذي كانوا فيه أعزاء، أقوياء، في مركب الأمة الواحدة.

٣ ـ الشيعة الإمامية
(الاثنا عشرية)

التعريف:

الشيعة(*) الإمامية الاثنا عشرية هم تلك الفرقة من المسلمين الذين زعموا أن عليًا هو الأحق في وراثة الخلافة(*) دون الشيخين وعثمان رضي الله عنهم أجمعين. وقد أطلق عليهم الإمامية؛ لأنهم جعلوا من الإمامة القضية الأساسية التي تشغلهم، وسُمُّوا بالاثني عشرية؛ لأنهم قالوا باثني عشر إماماً دخل آخرهم السرداب بسامراء على حد زعمهم. كما أنهم القسم المقابل لأهل السنة والجماعة في فكرهم وآرائهم المتميزة، وهم يعملون لنشر مذهبهم ليعم العالم الإسلامي.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● الاثنا عشر إماماً الذين يتخذهم الشيعة الإمامية أئمة لهم يتسلسلون على النحو التالي:

ـ علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ الذي يلقبونه بالمرتضى ـ رابع الخلفاء الراشدين، وصهر رسول الله ﷺ، وقد مات غيلةً حينما أقدم الخارجي عبد الرحمن بن ملجم على قتله في مسجد الكوفة في ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ.

ـ الحسن بن علي رضي الله عنهما، ويلقبونه بالمجتبى (٣ ـ ٥٠هـ).

ـ الحسين بن علي رضي الله عنهما ويلقبونه بالشهيد (٤ ـ ٦١هـ).

ـ علي زين العابدين بن الحسين (٣٨ ـ ٩٥هـ) ويلقبونه بالسَّجَّاد.

ـ محمد الباقر بن علي زين العابدين (٥٧ ـ ١١٤هـ) ويلقبونه بالباقر.

ـ جعفر الصادق بن محمد الباقر (٨٣ ـ ١٤٨هـ) ويلقبونه بالصادق.

ـ موسى الكاظم بن جعفر الصادق (١٢٨ ـ ١٨٣هـ) ويلقبونه بالكاظم.

ـ علي الرضا بن موسى الكاظم (١٤٨ ـ ٢٠٣هـ) ويلقبونه بالرضى.

ـ محمد الجواد بن علي الرضا (١٩٥ ـ ٢٢٠هـ) ويلقبونه بالتقي.

ـ علي الهادي بن محمد الجواد (٢١٢ ـ ٢٥٤هـ) ويلقبونه بالنقي.
ـ الحسن العسكري بن علي الهادي (٢٣٢ ـ ٢٦٠هـ) ويلقبونه بالزكي.
ـ محمد المهدي بن الحسن العسكري (٢٥٦هـ ـ . . .) ويلقبونه بالحجة القائم المنتظر.

يزعمون بأن الإمام الثاني عشر قد دخل سرداباً في دار أبيه بِسُرَّ مَنْ رأى ولم يعد، وقد اختلفوا في سِنّه وقت اختفائه فقيل أربع سنوات وقيل ثماني سنوات، غير أن معظم الباحثين يذهبون إلى أنه غير موجود أصلاً وأنه من اختراعات الشيعة(*) ويطلقون عليه لقب (المعدوم أو الموهوم).

● من شخصياتهم البارزة تاريخيًا عبد الله بن سبأ(١)، وهو يهودي من اليمن، أظهر الإسلام، ونقل ما وجده في الفكر اليهودي إلى التشيع كالقول بالرجعة(*)، وعدم الموت، وملك الأرض، والقدرة على أشياء لا يقدر عليها أحد من الخلق، والعلم بما لا يعلمه أحد، وإثبات البداء(*) والنسيان على الله عزّ وجلّ ـ تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً. وقد كان يقول في يهوديته بأن يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام، فقال في الإسلام بأن عليًا وصي محمد ﷺ. تنقل من المدينة إلى مصر والكوفة والفسطاط والبصرة وقال لعلي: «أنت أنت» أي أنت الله مما دفع عليًا إلى أن يهم بقتله، لكن عبد الله بن عباس نصحه بألا يفعل، فنفاه إلى المدائن.

---

(١) ورد للندوة بعد صدور الطبعة الأولى من هذه الموسوعة عدد من الرسائل من القراء الشيعة الذين يستنكرون نسبة ابن سبأ إلى مؤسسي الشيعة.

ونحن عندما نذكر ابن سبأ هنا إنما نذكر ما أثبتته المصادر الإسلامية من سنية وشيعية التي تذكر أن ابن سبأ كان أول من نادى بالأفكار المنسوبة إليهم والتي يتفق كثير منها مع عقائد الشيعة، بل تنسب إليه فرقة من غلاة الشيعة اسمها السبئية ذكرها بالإضافة إلى علماء السنة الناشىء الأكبر من الشيعة في **مسائل الإمام** ص٢٢ وغيره.

أما عبد الله بن سبأ وغلوه وأفكاره فتكاد تكون متواترة وذكرها كثير من العلماء من السنة والشيعة فقد أورد بعض أخباره مثبتا لها من الشيعة القمي (٣٠١هـ) في **المقالات والفرق** ص٢٠ والنوبختي (٣١٠) في **فرق الشيعة** ص٢٣، كما أورد **الكشي الشيعي في رجاله** عدداً من الأخبار عن ابن سبأ (ص٩٨ ـ ١٠٠)، وغيرهم. أما التشكيك في وجود ابن سبأ والدور الذي قام به فهو حديث بدأه المستشرقون وتبعهم بعض كتاب الشيعة المعاصرون.

(لمزيد، من المعلومات حول هذا الموضوع ننصح بمراجعة كتاب الدكتور سليمان بن فهد العودة: **عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام**، وأصله رسالة جامعية أثبت فيها المؤلف صحة الأخبار الواردة في ابن سبأ وقد نوقشت الرسالة عام ١٤٠٢هـ).

● منصور أحمد بن أبي طالب الطبرسي المتوفي سنة ٥٨٨هـ صاحب كتاب **الاحتجاج** طبع في إيران سنة ١٣٠٢هـ.

● الكُلَيني صاحب كتاب **الكافي** المطبوع في إيران سنة ١٢٧٨هـ وهو عندهم بمنزلة صحيح البخاري عند أهل السنة(*) ويزعمون بأن فيه ١٦١٩٩ حديثاً.

● الحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي المتوفى سنة ١٣٢٠هـ والمدفون في المشهد المرتضوي بالنجف، وهو صاحب كتاب **فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب ربِّ الأرباب** يزعم فيه أن القرآن قد زيد فيه ونقص منه. ومن ذلك ادعاؤهم في سورة الانشراح نقص عبارة ﴿**وجعلنا علياً صهرك**﴾، معاذ الله أن يكون ادعاؤهم هذا صحيحاً. وقد طبع هذا الكتاب في إيران سنة ١٢٨٩هـ.

● آية الله المامقاني صاحب كتاب **تنقيح المقال في أحوال الرجال** وهو لديهم إمام الجرح والتعديل، وفيه يطلق على أبي بكر وعمر لقب الجبت والطاغوت، انظر ١/ ٢٠٧ ـ طبع ١٣٥٢هـ بالمطبعة المرتضوية بالنجف.

● أبو جعفر الطوسي صاحب كتاب **تهذيب الأحكام**، ومحمد بن مرتضى المدعو ملا محسن الكاشي صاحب كتاب **الوافي**، ومحمد بن الحسن الحر العاملي صاحب كتاب **وسائل الشيعة إلى أحاديث الشريعة**، ومحمد باقر بن الشيخ محمد تقي المعروف بالمجلسي صاحب كتاب **بحار الأنوار في أحاديث النبي والأئمة الأطهار**، وفتح الله الكاشاني صاحب كتاب **منهج الصادقين**، وابن أبي الحديد صاحب **شرح نهج البلاغة**.

● آية الله الخميني: من رجالات الشيعة(*) المعاصرين، قاد ثورة شيعية في إيران تسلمت زمام الحكم، وله كتاب **كشف الأسرار** وكتاب **الحكومة الإسلامية**، وقد قال بفكرة ولاية الفقيه. وبالرغم من أنه رفع شعارات إسلامية عامة في بداية الثورة(*)، إلا أنه ما لبث أن كشف عن نزعة شيعية متعصبة ضيقة ورغبة في تصدير ثورته إلى بقية العالم الإسلامي، فقد اتخذ إجراءات أدى بعضها مع أسباب أخرى إلى قيام حرب استمرت ثماني سنوات مع العراق.

الأفكار والمعتقدات:

● **الإمامة**: وتكون بالنص، إذ يجب أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق بالعين لا بالوصف، وأن الإمامة من الأمور المهمة التي لا يجوز أن يفارق النبي ﷺ الأمة ويتركها هملاً يرى كل واحد منهم رأياً، بل يجب أن يعين شخصاً هو المرجوع إليه والمعوَّل عليه.

ـ يستدلون على ذلك بأن النبي(*) ﷺ قد نص على إمامة علي من بعده نصًّا ظاهراً يوم غدير خم، وهي حادثة لا يثبتها محدثو أهل السنة(*) ولا مؤرخوهم.

ـ ويزعمون أن عليًا قد نص على ولديه الحسن والحسين . . وهكذا . . فكل إمام يعين الإمام الذي يليه بوصية منه . ويسمونهم الأوصياء .

ـ **العصمة** : أئمة أهل البيت الاثنا عشر معصومون في زعمهم عن الخطأ والنسيان، وعن اقتراف الكبائر والصغائر .

● **العلم اللدني** : كل إمام من الأئمة أُودع العلم من لدن الرسول(*) ﷺ، بما يكمل الشريعة، وهو يملك علماً لدنيًا، ولا يوجد بينه وبين النبي من فرق سوى أنه لا يوحى إليه، وقد استودعهم رسول الله ﷺ أسرار الشريعة ليبينوا للناس ما يقتضيه زمانهم .

● **خوارق العادات** : يجوز أن تجري هذه الخوارق على يد الإمام، ويسمون ذلك معجزة(*)، وإذا لم يكن هناك نص على إمام من الإمام السابق عليه وجب أن يكون إثبات الإمامة في هذه الحالة بالخارقة .

● **الغيبة** : يرون أن الزمان لا يخلو من حجة لله عقلاً وشرعاً، ويترتب على ذلك أن الإمام الثاني عشر قد غاب في سردابه، كما زعموا، وأن له غيبة صغرى وغيبة كبرى، وهذا من أساطيرهم .

● **الرجعة**(*) : يعتقدون أن محمد بن الحسن العسكري سيعود في آخر الزمان عندما يأذن الله له بالخروج، وكان بعضهم يقفون بعد صلاة المغرب بباب السرداب، وقد قدموا مركباً، فيهتفون باسمه، ويدعونه للخروج، حتى تشتبك النجوم، ثم ينصرفون ويرجئون الأمر إلى الليلة التالية . ويقولون بأنه حين عودته سيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وسيقتص من خصوم الشيعة(*) على مدار التاريخ، ولقد قالت الإمامية قاطبة بالرجعة، وقالت بعض فرقهم الأخرى برجعة بعض الأموات .

● **التقية**(*) : وهم يعدونها أصلاً من أصول الدين، ومن تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة، وهي واجبة لا يجوز رفعها حتى يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله تعالى وعن دين الإمامية، كما يستدلون على ذلك بقوله تعالى : ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ [آل عمران : ٢٨] وينسبون إلى أبي جعفر الإمام الخامس قوله : «**التقية ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له**» . وهم يتوسعون في مفهوم التقية إلى حد كبير .

● **المتعة** : يرون بأن متعة النساء خير العادات وأفضل القربات، مستدلين على ذلك بقوله تعالى : ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [النساء : ٢٤] . وقد حرم الإسلام هذا الزواج الذي تشترط فيه مدة محدودة، بينما يشترط معظم أهل السنة وجوب استحضار نية التأبيد، ولزواج المتعة آثار سلبية كثيرة على المجتمع تبرر تحريمه .

● يعتقدون بوجود مصحف لديهم اسمه مصحف فاطمة[١] : ويروي الكُليني في كتابه **الكافي** في صفحة ٥٧ طبعة ١٢٧٨ هـ عن جعفر الصادق : «وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، قال : قلت : وما مصحف فاطمة؟ قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه حرف واحد من قرآنكم» .

● **البراءة** : إنهم يتبرؤون من الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وينعتونهم بأقبح الصفات؛ لأنهم ـ كما يزعمون ـ اغتصبوا الخلافة دون علي الذي هو أحق منهم بها، كما يبدؤون بلعن أبي بكر وعمر بدل التسمية في كل أمر ذي بال، وهم ينالون كذلك من كثير من الصحابة باللعن، ولا يتورعون عن النيل من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

● **المغالاة** : بعضهم غالى في شخصية علي رضي الله عنه، والمغالون من الشيعة(*) رفعوه إلى مرتبة الألوهية كالسبئية(*)، وبعضهم قالوا بأن جبريل قد أخطأ في الرسالة فنزل على محمد ﷺ، بدلاً من أن ينزل على علي؛ لأن عليًا يشبه النبي(*) كما يشبه الغرابُ الغرابَ ولذلك سموا بالغرابية .

● **عيد غدير خم** : وهو عيد لهم يصادف اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة ويفضلونه على عيدي الأضحى والفطر ويسمونه بالعيد الأكبر، وصيام هذا اليوم عندهم سنة مؤكدة، وهو اليوم الذي يدَّعون فيه بأن النبي قد أوصى فيه بالخلافة(*) لعلي من بعده .

● يعظمون عيد النيروز وهو من أعياد الفرس، وبعضهم يقول : غُسل يوم النيروز سُنة .

● لهم عيد يقيمونه في اليوم التاسع من ربيع الأول، وهو عيد أبيهم (بابا شجاع الدين) وهو لقب لَقَّبوا به (أبا لؤلؤة المجوسي) الذي أقدم على قتل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه .

● يقيمون حفلات العزاء والنياحة والجزع وتصوير الصور وضرب الصدور وكثير من الأفعال المحرمة التي تصدر عنهم في العاشر من شهر المحرم معتقدين بأن ذلك قربة إلى الله تعالى، وأن ذلك يكفر سيئاتهم وذنوبهم، ومن يزرهم في المشاهد المقدسة في كربلاء والنجف وقم . . فسيرَى من ذلك العجب العجاب .

---

(١) ينكر بعض الشيعة المعاصرون مصحف فاطمة والبراءة من الخلفاء وبعض الأمور الأخرى التي وردت في هذا التعريف . لكن هذه موجودة في كتبهم ولم يتبرأ منها علماؤهم على رؤوس الأشهاد وبين الشيعة أنفسهم، مما يوحي أن هذا الإنكار هو من باب التقية التي يطبقونها مع الفرق الإسلامية الأخرى مثل التظاهر بأداء بعض العبادات علانية ومخالفتها سرًا .

الجذور الفكرية والعقائدية:

- انعكست في التشيع معتقدات الفرس الذين يدينون لهم بالملك والوراثة، وقد ساهم الفرس فيه لينتقموا من الإسلام ـ الذي كسر شوكتهم ـ باسم الإسلام ذاته.
- اختلط الفكر الشيعي بالفكر الوافد من العقائد الآسيوية كالبوذية والمانوية(*) والبرهمية(*)، وقالوا بالتناسخ(*) وبالحلول(*).
- استمد التشيع أفكاره من اليهودية التي تحمل بصمات وثنية(*) آشورية وبابلية.
- أقوالهم في علي بن أبي طالب وفي الأئمة من آل البيت تلتقي مع أقوال النصارى في عيسى عليه السلام، ولقد شابهوهم في كثرة الأعياد وكثرة الصور واختلاق خوارق العادات وإسنادها إلى الأئمة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

تنتشر فرقة **الاثني عشرية** من الإمامية الشيعية الآن في إيران وتتركز فيها، ومنهم عدد كبير في العراق، ويمتد وجودهم إلى الباكستان كما أن لهم طائفة في لبنان، أما في سوريا فهناك طائفة قليلة منهم لكنهم على صلة وثيقة بالنُّصيْرية الذين هم من غلاة الشيعة.

ويتضح مما سبق:

أن التشيع الأول بدأ كحزب(*) يرى أحقية علي بن أبي طالب في الخلافة، ثم تطوَّر حتى أصبح فرقة عقائدية وسياسية انضوى تحت لوائها كل من أراد الكيد للإسلام والدولة المسلمة، حتى أن المتتبع للتاريخ الإسلامي لا يكاد يرى ثورة(*) أو انفصالاً عن الدولة الأم أو مشكلة عقائدية إلا وكان الشيعة بفرقها المتعددة وراءها، أو لهم ضلعٌ فيها. ولهذا اصطبغ التاريخ الإسلامي بكثير من الثورات والتمزق، ونظراً لوجود عناصر مندسَّة بين المسلمين يهمها استمرار هذا الخلاف فإن المشكلة لم تنته، بل استمر الخلاف وكاد التشيع يكون دينا(*) مختلفاً عن الإسلام تماما، وقد استغلت الدوائر الغربية والمستشرقون هذا الخلاف لتصوير المسلمين شيعاً وأحزاباً متناحرة. بل يقارنونه بالمسيحية(*) التي بلغت فرقها المئات.

مراجع للتوسع:

- المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة ـ المطبعة النموذجية بالقاهرة.
- مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري ـ ط١ ـ ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٩م.

- **الشافعي**، محمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربي ـ مصر.
- **تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة**، د. عبد الله فياض ـ مطبعة أسعد ـ بغداد ـ ١٩٧٠م.
- **دراسات في الفِرَق**، د. صابر طعيمة ـ مكتبة المعارف بالرياض ـ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- **مختصر التحفة الاثنا عشرية**، تحقيق محب الدين الخطيب ـ القاهرة ـ المطبعة السلفية ـ ١٣٧٣هـ.
- **الملل والنحل**، أبو الفتح الشهرستاني ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- **الشيعة والسنة**، إحسان إلهي ظهير ـ إدارة ترجمان السنة ـ لاهور ـ الباكستان ـ ط٥ ـ ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- **الشيعة والتشيع، إحسان إلهي ظهير** ـ إدارة ترجمان السنة. لاهور ـ ط١ ـ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- **الشيعة وأهل البيت**، إحسان إلهي ظهير ـ إدارة ترجمان السنة ـ ط٣ ـ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- **الفِصَل في الملل والأهواء والنحل**، ابن حزم ـ جدة ـ طبعة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- **الخطوط العريضة**، محب الدين الخطيب ـ ط٥ ـ القاهرة ـ المطبعة السلفية ـ ١٣٨٨هـ.
- **الصراع بين الشيعة والتشيع**، العلاّمة الدكتور موسى الموسوي ١٤٠٨هـ.
- **عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في الإسلام**، د. سليمان بن فهد العودة ـ ط٢ ـ الرياض ـ دار طيبة.
- **التقريب بين السنة والشيعة**. د. ناصر بن عبد الله القفاري ط٤ ـ الرياض ـ دار طيبة ١٤١٦هـ.

٤ ـ الإباضية

التعريف:

الإباضية إحدى فرق الخوارج(*)، وتنسب إلى مؤسسها عبد الله بن إباض التميمي، ويدعي أصحابها أنهم ليسوا خوارج، وينفون عن أنفسهم هذه النسبة، والحقيقة أنهم ليسوا من غلاة الخوارج كالأزارقة، مثلاً، لكنهم يتفقون مع الخوارج في مسائل عديدة منها: أن عبد الله بن إباض يعتبر نفسه امتداداً للمحكمة الأولى من الخوارج، كما يتفقون مع الخوارج في تعطيل الصفات، والقول بخلق القرآن، وتجويز الخروج على أئمة الجور.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● مؤسسها الأول عبد الله بن إباض من بني مرة بن عبيد بن تميم، يرجع نسبه إلى إباض، وهي قرية العارض باليمامة، وعبد الله عاصر معاوية وتوفي في أواخر أيام عبدالملك ابن مروان.

● يذكر الإباضية أن أبرز شخصياتهم جابر بن زيد (٢٢ ـ ٩٣هـ) الذي يعد من أوائل المشتغلين بتدوين الحديث آخذاً العلم عن عبد الله بن عباس وعائشة وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وغيرهم من كبار الصحابة، مع أن جابراً قد تبرأ منهم: (انظر تهذيب التهذيب ٢/ ٣٨).

● أبو عبيدة مسلمة بن أبي كريمة: من أشهر تلاميذ جابر بن زيد، وقد أصبح مرجع الإباضية بعده مشتهراً بلقب القفاف توفي في ولاية أبي جعفر المنصور ١٥٨هـ.

● الربيع بن حبيب الفراهيدي الذي عاش في منتصف القرن الثاني للهجرة، وينسبون له مسنداً خاصاً به **مسند الربيع بن حبيب** وهو مطبوع ومتداول.

● من أئمتهم في الشمال الأفريقي أيام الدولة العباسية: الإمام الحارث بن تليد، ثم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، ثم أبو حاتم يعقوب بن حبيب ثم حاتم الملزوزي.

● ومنهم الأئمة الذين تعاقبوا على الدولة الرستمية في تاهرت بالمغرب: عبد الرحمن، عبد الوهاب، أفلح، أبو بكر، أبو اليقظان، أبو حاتم.

● من علمائهم:

ـ سلمة بن سعد: قام بنشر مذهبهم في أفريقيا في أوائل القرن الثاني.

ـ ابن مقطير الجناوني: تلقى علومه في البصرة، وعاد إلى موطنه في جبل نفوسة بليبيا ليسهم في نشر المذهب(*) الإباضي.

ـ عبد الجبار بن قيس المرادي: كان قاضياً أيام إمامهم الحارث بن تليد.

ـ السمح أبو طالب: من علمائهم في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، كان وزيراً للإمام عبد الوهاب بن رستم ثم عاملاً له على جبل نفوسة ونواحيه بليبيا.

ـ أبو ذر أبان بن وسيم: من علمائهم في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة، وكان عاملاً للإمام أفلح بن عبد الوهاب على حيز طرابلس.

الأفكار والمعتقدات:

● يظهر من خلال كتبهم تعطيل(*) الصفات الإلهية، وهم يلتقون إلى حد بعيد مع المعتزلة في تأويل(*) الصفات، ولكنهم يدعون أنهم ينطلقون في ذلك من منطلق عقدي، إذ يذهبون إلى تأويل الصفة تأويلاً مجازياً بما يفيد المعنى دون أن يؤدي ذلك إلى التشبيه(*)، ولكن كلمة الحق في هذا الصدد تبقى دائماً مع أهل السنة والجماعة(*) المتبعين للدليل، من حيث إثبات الأسماء والصفات العليا لله تعالى كما أثبتها لنفسه، بلا تعطيل ولا تكييف(*) ولا تحريف(*) ولا تمثيل(*).

● ينكرون رؤية الله تعالى في الآخرة.

● يؤولون بعض مسائل الآخرة تأويلاً مجازيًا كالميزان والصراط.

● أفعال الإنسان خلق من الله، واكتساب من الإنسان، وهم بذلك يقفون موقفاً وسطاً بين القدريّة(*) والجبرية(*).

● صفات الله ليست زائدة على ذات الله، ولكنها هي عين ذاته.

● القرآن لديهم مخلوق، وقد وافقوا الخوارج(*) في ذلك، يقول الأشعري «والخوارج جميعاً يقولون بخلق القرآن»، **مقالات الإسلاميين** ١/ ٢٠٣ ط٢ ـ ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

● مرتكب الكبيرة(*) ـ عندهم ـ كافر كفر نعمة أو كفر نفاق.

● الناس في نظرهم ثلاثة أصناف:

ـ مؤمنون أوفياء بإيمانهم.

ـ مشركون واضحون في شركهم.

ـ قوم أعلنوا كلمة التوحيد وأقروا بالإسلام لكنهم لم يلتزموا به سلوكاً وعبادة، فهم

ليسوا مشركين، لأنهم يقرون بالتوحيد، وهم كذلك ليسوا بمؤمنين، لأنهم لا يلتزمون بما يقتضيه الإيمان، فهم إذن مع المسلمين في أحكام الدنيا لإقرارهم بالتوحيد، وهم مع المشركين في أحكام الآخرة لعدم وفائهم بإيمانهم ولمخالفتهم ما يستلزمه التوحيد من عمل أو ترك.

● للدار وحكمها عند محدثي الإباضية صور متعددة، ولكن محدثيهم يتفقون مع القدامى في أن دار مخالفيهم من أهل الإسلام هي دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي.

● يعتقدون بأن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناكحتهم جائزة وموارثتهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والخيل، وكل ما فيه من قوة الحرب حلال وما سواه حرام!

● مرتكب الكبيرة كافر(*)، ولا يمكن في حال معصيته وإصراره عليها أن يدخل الجنة إذا لم يتب منها، فإن الله لا يغفر الكبائر(*) لمرتكبيها إلا إذا تابوا منها قبل الموت.

ـ الذي يرتكب كبيرة من الكبائر يطلقون عليه لفظة «كافر» زاعمين بأن هذا كفر نعمة أو كفر نفاق لا كفر ملة، بينما يطلق عليه أهل السنة والجماعة(*) كلمة العصيان أو الفسوق، ومن مات على ذلك ـ في نظر أهل السنة ـ فهو في مشيئة الله، إن شاء غفر له بكرمه وإن شاء عذبه بعدله حتى يطهر من عصيانه ثم ينتقل إلى الجنة، أما الإباضية فيقولون بأن العاصي مخلد في النار، وهي بذلك تتفق مع بقية الخوارج(*) والمعتزلة في تخليد العصاة في جهنم.

● ينكرون الشفاعة لعصاة الموحدين؛ لأن العصاة ـ عندهم ـ مخلدون في النار فلا شفاعة لهم حتى يخرجوا من النار.

● ينفون شرط القرشية في الإمام إذ إن كل مسلم صالح لها، إذا ما توافرت فيه الشروط، والإمام الذي ينحرف ينبغي خلعه وتولية غيره.

● يتهجم بعضهم على أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وعلى معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ـ رضي الله عنهم.

ـ الإمامة بالوصية باطلة في مذهبهم، ولا يكون اختيار الإمام إلا عن طريق البيعة(*)، كما يجوز تعدد الأئمة في أكثر من مكان.

ـ لا يوجبون الخروج على الإمام الجائر ولا يمنعونه، وإنما يجيزونه، فإذا كانت الظروف مواتية والمضار فيه قليلة فإن هذا الجواز يميل إلى الوجوب، وإذا كانت الظروف غير مواتية والمضار المتوقعة كثيرة والنتائج غير مؤكدة فإن هذا الجواز يميل إلى المنع. ومع كل هذا فإن الخروج لا يمنع في أي حال، والشراء(*) (أي الكتمان) مرغوب فيه على جميع الأحوال ما دام الحاكم ظالماً.

● يرون أن الجد للأب أولى بالحضانة من الجدة للأم خلافاً لأكثر المذاهب.

ـ يرون أن الجد يمنع الإخوة من الميراث، بينما ترى بعض المذاهب الأخرى أن يقتسموا معه.

● لا يجوز لديهم أن يدعو شخص لآخر بخير الجنة وما يتعلق بها إلا إذا كان مسلماً موفّياً بدينه مستحقًّا الولاية بسبب طاعته، أما الدعاء بخير الدنيا وبما يحول الإنسان من أهل الدنيا إلى أهل الآخرة فهو جائز لكل أحد من المسلمين تقاة وعصاة.

● لديهم نظام اسمه (حلقة العزابة)، وهي هيئة محدودة العدد تمثل خيرة أهل البلد علماً وصلاحاً وتقوم بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع الإباضي الدينية والتعليمية والاجتماعية والسياسية، كما تمثل مجلس الشورى في زمن الظهور والدفاع، أما في زمن الشراء والكتمان فإنها تقوم بعمل الإمام وتمثله في مهامه.

ـ لديهم منظمة اسمها (إيروان) تمثل المجلس الاستشاري المساعد للعزابة، وهي القوة الثانية في البلد بعدها.

ـ يشكلون من بينهم لجاناً تقوم على جمع الزكاة وتوزيعها على الفقراء، كما تمنع منعاً باتًّا طلب الزكاة أو الاستجداء وما إلى ذلك من صور انتظار العطاء.

ـ انشق عن الإباضية عدد من الفرق التي اندثرت وهي:

ـ الحفصية: أصحاب حفص بن أبي المقدام.

ـ الحارثية: أصحاب الحارث الإباضي.

ـ اليزيدية: أصحاب يزيد بن أنيسة. الذي زعم أن الله سيبعث رسولاً من العجم، وينزل عليه كتاباً من السماء، ومن ثم ترك شريعة محمد ﷺ.

وقد تبرأ سائر الإباضية من أفكارهم وكفروهم لشططهم وابتعادهم عن الخط الإباضي الأصلي، الذي لا يزال إلى يومنا هذا.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● الإباضيون يعتمدون على القرآن والسنة ـ **مسند الربيع بن حبيب** ـ والرأي والإجماع(*).

● ولقد تأثروا بمذهب أهل الظاهر، إذ إنهم يقفون عند بعض النصوص الدينية موقفاً حرفيًا ويفسرونها تفسيراً ظاهريًا.

● وتأثروا كذلك بالمعتزلة في قولهم بخلق القرآن.

● ولكن منهم من استند في كتاباته الفقهية إلى آراء الحنفية والمالكية والشافعية

والحنابلة دون تحامل.

● ويُعد كتاب **النيل وشفاء العليل** ـ الذي شرحه الشيخ محمد بن يوسف إطْفَيِّش المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ ـ من أشهر مراجعهم. جمع فيه فقه المذهب الإباضي وعقائده.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● كانت لهم صولة وجولة في جنوبي الجزيرة العربية حتى وصلوا إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، أما في الشمال الأفريقي فقد انتشر مذهبهم بين البربر وكانت لهم دولة عرفت باسم الدولة الرستمية وعاصمتها تاهرت.

● حكموا الشمال الأفريقي حكماً متصلا مستقلا زهاء مائة وثلاثين سنة حتى أزالهم الفاطميون (العبيديون).

● قامت للإباضية دولة مستقلة في عُمان وتعاقب على الحكم فيها إلى العصر الحديث أئمة إباضيون.

● من حواضرهم التاريخية جبل نفوسة بليبيا، إذ كان معقلاً لهم ينشرون منه المذهب الإباضي، ومنه يديرون شؤون الفرقة الإباضية.

● لا يزال لهم وجود إلى وقتنا الحاضر في كل من عمان بنسبة مرتفعة وليبيا وتونس والجزائر وفي واحات الصحراء الغربية وفي زنجبار التي ضمت إلى تانجانيقا تحت اسم تنزانيا.

ويتضح مما تقدم:

أن الإباضية إحدى فرق الخوارج(*)، وتنسب إلى مؤسسها عبد الله بن إباض التميمي، ويدعي أصحابها أنهم ليسوا خوارج، وينفون عنهم هذه النسبة، والحقيقة أنهم ليسوا من غلاة الخوارج كالأزارقة، مثلاً، لكنهم يتفقون مع الخوارج في مسائل عديدة منها: أن عبد الله بن إباض يعتبر نفسه امتداداً للمحكمة الأولى من الخوارج، كما يتفقون مع الخوارج في تعطيل(*) الصفات والقول بخلق القرآن وتجويز الخروج على أئمة الجور.

مراجع للتوسع:

- **الإباضية في موكب التاريخ**، علي يحيى معمر (إباضي معاصر) ـ مكتبة وهبة ط١ ـ القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
- **المذاهب الإسلامية**، محمد أبو زهرة ـ المطبعة النموذجية.
- **الفرق الإسلامية**، (ذيل كتاب شرح المواقف ـ للكرماني) تحقيق سليمة عبد الرسول ـ مطبعة الإرشاد ـ بغداد ١٩٧٣م.
- **إسلام بلا مذاهب**، د. مصطفي الشكعة ـ الدار المصرية للطباعة والنشر ـ بيروت.

- **الملل والنحل**، للشهرستاني ـ الطبعة الثانية ـ دار المعرفة ـ بيروت.
- **الإباضية بين الفرق الإسلامية**، علي يحيى معمر (إباضي) ـ مكتبة وهبة ط١ ـ ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ـ القاهرة.
- **الفرق بين الفرق**، عبد القادر البغدادي.
- **مقالات الإسلاميين**، أبو الحسن الأشعري.
- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، أبو محمد بن حزم.
- **المذاهب والفرق والأديان المعاصرة**، عبد القادر شيبة الحمد.
- **الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي**، ألفرد بل ـ ترجمة عبد الرحمن بدوي.
- **تاريخ فلسفة الإسلام**، د. يحيى هويدي.
- **دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة**، عبد الله الأمين.
- **دراسات إسلامية في الأصول الإباضية**، بكير بن سعيد أعوشت.
- **الإباضية: دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم**، علي يحيى معمر.
- **جذور الفتنة في الفرق الإسلامية**، اللواء حسن صادق، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- **الإباضية**، صابر طعيمة.
- **الإباضية**، عبد العزيز العبد اللطيف.
- **دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين** د. أحمد محمد أحمد جلي ـ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض.
- **الخوارج في العصر الأموي** لنايف عواد معروف.
- **الخوارج في العصر الأموي** لسليمان السويكت، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٣٩٩هـ ـ غير مطبوعة.
- **الخوارج دراسة ونقد لمذهبهم** لناصر بن عبد الله السعدي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، العقيدة، ١٤٠٤هـ، غير مطبوعة.
- **الخوارج تاريخهم وآراؤهم**، لغالب العواجي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٣٩٩ هـ غير مطبوعة.
- **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري** لمحمود إسماعيل.
- **الإباضية عقيدة وفكراً** لعبد الرحمن المصلح، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٢هـ.
- **الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام** ـ د. ناصر بن عبدالكريم العقل ـ دار الوطن ـ الرياض.

٥ ـ المعتزلة

التعريف:

المعتزلة فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة. وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية(*) والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصدة والوعيدية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● اختلفت رؤية العلماء في ظهور الاعتزال، واتجهت هذه الرؤية إلى وجهتين:

ـ الوجهة الأولى: أن الاعتزال حصل نتيجة النقاش في مسائل عقدية دينية كالحكم على مرتكب الكبيرة(*)، والحديث في القدر، بمعنى هل يقدر العبد على فعله أو لا يقدر، ومن رأي أصحاب هذا الاتجاه أن اسم المعتزلة أطلق عليهم لعدة أسباب:

١ ـ أنهم اعتزلوا المسلمين بقولهم بالمنزلة بين المنزلتين.

٢ ـ أنهم عرفوا بالمعتزلة بعد أن اعتزل واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري وشكل جلقة خاصة به لقوله بالمنزلة بين المنزلتين فقال الحسن: «اعتزلنا واصل».

٣ ـ أو أنهم قالوا بوجوب اعتزال مرتكب الكبيرة ومقاطعته.

ـ والوجهة الثانية: أن الاعتزال نشأ بسبب سياسي، إذ إن المعتزلة من شيعة علي رضي الله عنه اعتزلوا الحسن عندما تنازل لمعاوية، أو أنهم وقفوا موقف الحياد بين شيعة علي ومعاوية فاعتزلوا الفريقين.

● أما القاضي عبد الجبار الهمذاني ـ مؤرخ المعتزلة ـ فيزعم أن الاعتزال ليس مذهباً جديداً أو فرقة طارئة أو طائفة جديدة أو أمراً مستحدثاً، وإنما هو استمرار لما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته، وقد لحقهم هذا الاسم بسبب اعتزالهم الشر لقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ [مريم: ٤٨] ولقول الرسول ﷺ: «**من اعتزل الشر سقط في الخير**».

● والواقع أن نشأة الاعتزال كانت ثمرة تطور تاريخي لمبادىء فكرية وعقدية وليدة النظر العقلي المجرد في النصوص الدينية، وقد نتج ذلك عن التأثر بالفلسفة اليونانية والهندية والعقائد اليهودية والنصرانية كما سنرى في فقرة (الجذور الفكرية والعقائدية).

● قبل بروز المعتزلة كفرقة فكرية على يد واصل بن عطاء، كان هناك جدل(*) ديني فكري بدأ بمقولات جدلية كانت هي الأسس الأولى للفكر المعتزلي، وهذه المقولات نوجزها مع أصحابها فيما يلي:

ـ مقولة إن الإنسان حر مختار بشكل مطلق، وهو الذي يخلق أفعاله بنفسه قالها: معبد الجهني، الذي خرج على عبد الملك بن مروان مع عبد الرحمن بن الأشعث.. وقد قتله الحجاج عام ٨٠هـ بعد فشل الحركة.

ـ وكذلك قالها غيلان الدمشقي في عهد عمر بن عبد العزيز وقتله هشام بن عبد الملك.

ـ ومقولة خلق القرآن ونفي الصفات، قالها الجهم بن صفوان، وقد قتله سالم بن أحوز في مرو عام ١٢٨هـ.

ـ وممن قال بنفي الصفات، أيضاً: الجعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبد الله القسري والي الكوفة.

● ثم برزت المعتزلة كفرقة فكرية على يد واصل بن عطاء الغزال (٨٠هـ ـ ١٣١هـ) الذي كان تلميذاً للحسن البصري، ثم اعتزل حلقة الحسن بعد قوله بأن مرتكب الكبيرة(*) في منزلة بين المنزلتين (أي ليس مؤمناً ولا كافراً)، وأنه مخلد في النار إذا لم يتب قبل موته، وقد عاش في أيام عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك، والفرقة المعتزلية التي تنسب إليه تسمى: **الواصلية**.

● ولاعتماد المعتزلة على العقل في فهم العقائد وتقصيهم لمسائل جزئية فقد انقسموا إلى طوائف مع اتفاقهم على المبادىء الرئيسية الخمسة ـ التي سنذكرها لاحقاً ـ وكل طائفة من هذه الطوائف جاءت ببدع جديدة تميزها عن الطائفة الأخرى.. وسمت نفسها باسم صاحبها الذي أخذت عنه.

● وفي العهد العباسي برز المعتزلة في عهد المأمون، إذ اعتنق الاعتزال عن طريق بشر المريسي وثمامة بن أشرس وأحمد بن أبي دؤاد، وهو أحد رؤوس بدعة الاعتزال في عصره، ورأس فتنة خلق القرآن، وكان قاضياً للقضاة في عهد المعتصم.

ـ في فتنة خلق القرآن امتحن الإمام أحمد بن حنبل الذي رفض الرضوخ لأوامر المأمون والإقرار بهذه البدعة، فسجن وعذب وضرب بالسياط في عهد المعتصم بعد وفاة المأمون وبقي في السجن لمدة عامين ونصف، ثم أعيد إلى منزله وبقي فيه طيلة خلافة المعتصم ثم ابنه الواثق.

ـ لما تولى المتوكل الخلافة عام ٢٣٢هـ انتصر لأهل السنة(*)، وأكرم الإمام أحمد،

وأنهى عهد سيطرة المعتزلة على الحكم ومحاولة فرض عقائدهم بالقوة خلال أربعة عشر عاماً.

● في عهد دولة بني بويه عام ٣٣٤هـ في بلاد فارس ـ وكانت دولة شيعية ـ توطدت العلاقة بين الشيعة(*) والمعتزلة، وارتفع شأن الاعتزال أكثر في ظل هذه الدولة، فعين القاضي عبد الجبار رأس المعتزلة في عصره قاضياً لقضاء الري عام ٣٦٠هـ بأمر من الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة البويهي، وهو من الروافض(*) المعتزلة، يقول فيه الذهبي: «وكان شيعيًا معتزليًا مبتدعاً» ويقول المقريزي: «إن مذهب الاعتزال فشا تحت ظل الدولة البويهية في العراق وخراسان وما وراء النهر». وممن برز في هذا العهد: الشريف المرتضى الذي قال عنه الذهبي: «وكان من الأذكياء والأولياء المتبحرين في الكلام والاعتزال والأدب والشعر لكنه إمامي جلد».

● بعد ذلك كاد الاعتزال ينتهي كفكر مستقل إلا ما تبنته منه بعض الفرق كالشيعة وغيرهم.

● عاد الفكر الاعتزالي من جديد في الوقت الحاضر، على يد بعض الكتاب والمفكرين، الذين يمثلون المدرسة العقلانية الجديدة، وهذا ما سنبسطه عند الحديث عن فكر الاعتزال الحديث.

● ومن أبرز مفكري المعتزلة منذ تأسيسها على يد واصل بن عطاء وحتى اندثارها وتحللها في المذاهب الأخرى كالشيعة والأشعرية والماتريدية الآتي ذكره:

ـ أبو الهذيل حمدان بن الهذيل العلاف (١٣٥ ـ ٢٢٦هـ) مولى عبد القيس وشيخ المعتزلة والمناظر عنها. أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء، طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة، فقد تأثر بأرسطو وأنبادقليس من فلاسفة اليونان، وقال بأن «الله عالم بعلم وعلمه ذاته، وقادر بقدرة وقدرته ذاته...». انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص٧٦. وتسمى طائفته الهذيلية.

ـ إبراهيم بن يسار بن هانىء النظام (توفي سنة ٢٣١هـ)، وكان في الأصل على دين البراهمة(*) وقد تأثر، أيضاً، بالفلسفة(*) اليونانية مثل بقية المعتزلة.. وقال بأن المتولدات من أفعال الله تعالى، وتسمى طائفته النظامية.

ـ بشر بن المعتمر (توفي سنة ٢٢٦هـ)، وهو من علماء المعتزلة، وهو الذي أحدث القول بالتولد وأفرط فيه. فقال: إن كل المتولدات من فعل الإنسان فهو يصح أن يفعل الألوان والطعوم والرؤية والروائح وتسمى طائفته البشرية.

ـ معمر بن عباد السلمي (توفي سنة ٢٢٠هـ) وهو من أعظم القدرية(*) فرية في تدقيق القول بنفي الصفات ونفي القدر(*) خيره وشره من الله تعالى، وتسمى طائفته: المعمرية.

ـ عيسى بن صبيح المكنى بأبي موسى الملقب بالمردار (توفي سنة ٢٢٦هـ)، وكان يقال له: راهب المعتزلة، وقد عرف عنه التوسع في التكفير(*) حتى كفر الأمة بأسرها بما فيها المعتزلة، وتسمى طائفته المردارية.

ـ ثمامة بن أشرس النميري (توفي سنة ٢١٣هـ)، كان جامعاً بين قلة الدين وخلاعة النفس، مع اعتقاده بأن الفاسق يخلد في النار إذا مات على فسقه من غير توبة، وهو في حال حياته في منزلة بين المنزلتين، وكان زعيم القدرية في زمان المأمون والمعتصم والواثق. وقيل إنه هو الذي أغرى المأمون ودعاه إلى الاعتزال، وتسمى طائفته الثمامية.

ـ عمرو بن بحر: أبو عثمان الجاحظ (توفي سنة ٢٥٦هـ)، وهو من كبار كتاب المعتزلة، ومن المطلعين على كتب الفلاسفة، ونظراً لبلاغته في الكتابة الأدبية استطاع أن يدس أفكاره المعتزلية في كتاباته كما يدس السم في الدسم مثل، **البيان والتبيين**، وتسمى فرقته الجاحظية.

ـ أبو الحسين بن أبي عمر الخياط (توفي سنة ٣٠٠هـ)، من معتزلة بغداد، وبدعته التي تفرد بها قوله بأن المعدوم جسم، والشيء المعدوم قبل وجوده جسم، وهو تصريح بقدم العالم، وهو بهذا يخالف جميع المعتزلة وتسمى فرقته الخياطية.

ـ القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني (المتوفى سنة ٤١٤هـ)، فهو من متأخري المعتزلة، قاضي قضاة الري وأعمالها، وأعظم شيوخ المعتزلة في عصره، وقد أرخ للمعتزلة وقنن مبادئهم وأصولهم الفكرية والعقدية.

المبادىء والأفكار:

● جاءت المعتزلة في بدايتها بفكرتين مبتدعتين:

ـ الأولى: القول بأن الإنسان مختار بشكل مطلق في كل ما يفعل، فهو يخلق أفعاله بنفسه، ولذلك كان التكليف، ومن أبرز من قال ذلك غيلان الدمشقي، الذي أخذ يدعو إلى مقولته هذه في عهد عمر بن عبد العزيز. حتى عهد هشام بن عبد الملك، فكانت نهايته أن قتله هشام بسبب ذلك.

ـ الثانية: القول بأن مرتكب الكبيرة(*) ليس مؤمناً ولا كافراً، ولكنه فاسق. فهو بمنزلة بين المنزلتين، هذه حاله في الدنيا. أما في الآخرة فهو لا يدخل الجنة؛ لأنه لم يعمل بعمل أهل الجنة بل هو خالد مخلد في النار، ولا مانع عندهم من تسميته مسلماً باعتباره يظهر الإسلام، وينطق بالشهادتين ولكنه لا يسمى مؤمناً.

● ثم حرر المعتزلة مذهبهم في خمسة أصول:

١ ـ التوحيد.
٢ ـ العدل.
٣ ـ الوعد والوعيد.
٤ ـ المنزلة بين المنزلتين.
٥ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١ ـ **التوحيد**: وخلاصته في رأيهم، أن الله تعالى منزه عن الشبيه والمماثل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ولا ينازعه أحد في سلطانه ولا يجري عليه شيء مما يجري على الناس. وهذا حق، ولكنهم بنوا عليه نتائج باطلة منها: استحالة رؤية الله تعالى لاقتضاء ذلك نفي الصفات، وأن الصفات ليست شيئاً غير الذات، وإلا تعدد القدماء في نظرهم، لذلك يعدون من نفاة الصفات، وبنوا على ذلك، أيضاً، أن القرآن مخلوق لله سبحانه وتعالى لنفيهم عنه سبحانه صفة الكلام.

٢ ـ **العدل**: ومعناه في رأيهم أن الله لا يخلق أفعال العباد، ولا يحب الفساد، بل إن العباد يفعلون ما أمروا به وينتهون عما نهوا عنه بالقدرة التي جعلها الله لهم وركبها فيهم، وأنه لم يأمر إلا بما أراد ولم ينه إلا عما كره، وأنه ولي كل حسنة أمر بها، بريء من كل سيئة نهى عنها، لم يكلفهم ما لا يطيقون ولا أراد منهم ما لا يقدرون عليه. وذلك لخلطهم بين إرادة الله تعالى الكونية(*) وإرادته الشرعية(*).

٣ ـ **الوعد والوعيد**: ويعني أن يجازي الله المحسن إحساناً، ويجازي المسيء سوءاً، ولا يغفر لمرتكب الكبيرة(*) إلا أن يتوب.

٤ ـ **المنزلة بين المنزلتين**: وتعني أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين الإيمان والكفر فليس بمؤمن ولا كافر. وقد قرر هذا واصل بن عطاء شيخ المعتزلة.

٥ ـ **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: فقد قرروا وجوب ذلك على المؤمنين نشراً لدعوة الإسلام وهداية للضالين وإرشاداً للغاوين كل بما يستطيع: فذو البيان ببيانه، والعالم بعلمه، وذو السيف بسيفه، وهكذا. ومن حقيقة هذا الأصل أنهم يقولون بوجوب الخروج على الحاكم إذا خالف وانحرف عن الحق.

● ومن مبادىء المعتزلة الاعتماد على العقل(*) كليًّا في الاستدلال لعقائدهم، وكان من آثار اعتمادهم على العقل في معرفة حقائق الأشياء وإدراك العقائد، أنهم كانوا يحكمون بحسن الأشياء وقبحها عقلاً، فقالوا كما جاء في **الملل والنحل** للشهرستاني: «المعارف كلها معقولة بالفعل، واجبة بنظر العقل، وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع أي قبل إرسال الرسل، والحسن والقبح(*) صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح».

ـ ولاعتمادهم على العقل، أيضاً، أوّلوا الصفات بما يلائم عقولهم الكليلة، كصفات الاستواء واليد والعين، وكذلك صفات المحبة والرضى والغضب والسخط ومن المعلوم أن المعتزلة تنفي كل الصفات لا أكثرها.

ـ ولاعتمادهم على العقل، أيضاً، طعن كبراؤهم في أكابر الصحابة وشنعوا عليهم ورموهم بالكذب، فقد زعم واصل بن عطاء: أن إحدى الطائفتين يوم الجمل فاسقة، إما طائفة علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر والحسن والحسين وأبي أيوب الأنصاري وإما طائفة عائشة والزبير، وردوا شهادة هؤلاء الصحابة فقالوا: لا تقبل شهادتهم.

ـ وسبب اختلاف المعتزلة فيما بينهم وتعدد طوائفهم هو اعتمادهم على العقل فقط ـ كما نوهنا ـ وإعراضهم عن النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة، ورفضهم الاتباع بدون بحث واستقصاء، وقاعدتهم التي يستندون إليها في ذلك:

«كل مكلف مطالب بما يؤديه إليه اجتهاده في أصول الدين»، فيكفي وفق مذهبهم أن يختلف التلميذ مع شيخه في مسألة ليكون هذا التلميذ صاحب فرقة قائمة، وما هذه الفرق التي عددناها آنفاً إلا نتيجة اختلاف تلاميذ مع شيوخهم، فأبو الهذيل العلاف له فرقة، خالفه تلميذه النظام فكانت له فرقة، فخالفه تلميذه الجاحظ فكانت له فرقة، والجبائي له فرقة، فخالفه ابنه أبو هاشم عبد السلام فكانت له فرقة، أيضاً، وهكذا.

ـ وهكذا نجد أن المعتزلة قد حولوا الدين إلى مجموعة من القضايا العقلية والبراهين المنطقية، وذلك لتأثرهم بالفلسفة(*) اليونانية عامة وبالمنطق(*) الصوري الأرسطي خاصة.

● وقد فند علماء الإسلام آراء المعتزلة في عصرهم، فمنهم أبو الحسن الأشعري الذي كان منهم، ثم خرج من فرقتهم ورد عليهم متبعاً أسلوبهم في الجدال(*) والحوار. ثم جاء الإمام أحمد بن حنبل الذي اكتوى بنار فتنتهم المتعلقة بخلق القرآن ووقف في وجه هذه الفتنة بحزم وشجاعة نادرتين.

ـ ومن الردود قوية الحجة، بارعة الأسلوب، رد شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عليهم في كتابه القيم: **درء تعارض العقل والنقل** فقد تتبع آراءهم وأفكارهم واحدة واحدة ورد عليها ردًّا مفحماً. وبين أن صريح العقل لا يمكن أن يكون مخالفاً لصحيح النقل.

● وقد ذكر في هذا البحث أكثر من مرة أن المعتزلة اعتمدوا على العقل(*) في تعاملهم مع نصوص الوحي(*)، وقد يتوهم أحد أن الإسلام ضد العقل ويسعى للحجر عليه، ولكن هذا الفهم يرده دعوة الإسلام إلى التفكر في خلق السماوات والأرض والتركيز على استعمال العقل في اكتشاف الخير والشر وغير ذلك مما هو معروف ومشهور، مما دعا العقاد ـ رحمه

الله ـ إلى أن يؤلف كتاباً بعنوان: «التفكير فريضة إسلامية، ولهذا فإن من انحرافات المعتزلة استعمالهم العقل في غير مجاله: في أمور غيبية تقع خارج الحس ولا يمكن محاكمتها محاكمة عقلية صحيحة، كما أنهم بنوا عدداً من القضايا على مقدمات معينة فكانت النتائج ليست صحيحة على إطلاقها، وهو أمر لا يسلّم به دائماً حتى لو اتبعت نفس الأساليب التي استعملوها في الاستنباط والنظر العقلي: مثل نفيهم الصفات عن الله اعتماداً على قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. وكان الصحيح ألا تنفى عنه الصفات التي أثبتها لنفسه سبحانه وتعالى، ولكن تفهم الآية على أن صفاته سبحانه وتعالى لا تماثل صفات المخلوقين.

وقد حدد العلماء مجال استعمال العقل بعدد من الضوابط منها:

ـ ألا يتعارض مع النصوص الصحيحة.

ـ ألا يكون استعمال العقل في القضايا الغيبية التي يعد الوحي هو المصدر الصحيح والوحيد لمعرفتها.

ـ أن يقدم النقل على العقل في الأمور التي لم تتضح حكمتها «وهي ما يعرف بالأمور التوقيفية».

ولا شك أن احترام الإسلام للعقل وتشجيعه للنظر والفكر لا يقدمه على النصوص الشرعية الصحيحة، خاصة أن العقول متغيرة وتختلف وتتأثر بمؤثرات كثيرة تجعلها لا تصلح لأن تكون الحكم المطلق في كل الأمور. ومن المعروف أن مصدر المعرفة في الفكر الإسلامي يتكون من:

١ ـ الحواس وما يقع في مجالها من الأمور الملموسة من الموجودات.

٢ ـ العقل(*) وما يستطيع أن يصل إليه من خلال ما تسعفه به الحواس والمعلومات التي يمكن مشاهدتها واختبارها وما يلحق ذلك من عمليات عقلية تعتمد في جملتها على ثقافة الفرد ومجتمعه وغير ذلك من المؤثرات.

٣ ـ الوحي(*) من كتاب وسنة، إذ هو المصدر الوحيد والصحيح للأمور الغيبية، وما لا تستطيع أن تدركه الحواس، وما أعده الله في الدار الآخرة، وما أرسل من الرسل إلخ...

وهكذا يظهر أنه لا بد من تكامل العقل والنقل في التعامل مع النصوص الشرعية كل فيما يخصه وبالشروط التي حددها العلماء.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● هناك رواية ترجع الفكر المعتزلي في نفي الصفات إلى أصول يهودية فلسفية فالجعد بن درهم أخذ فكره عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت وأخذها طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي.

وقيل: إن مناقشات الجهم بن صفوان مع فرقة السمنية ـ وهي فرقة هندية تؤمن بالتناسخ(*) ـ قد أدت إلى تشكيكه في دينه وابتداعه لنفي الصفات.

● إن فكر يوحنا الدمشقي وأقواله تعد مورداً من موارد الفكر الاعتزالي، إذ إنه كان يقول بالأصلح ونفي الصفات الأزلية وحرية الإرادة الإنسانية.

ـ ونفي القدر عند المعتزلة الذي ظهر على يد معبد الجهني وغيلان الدمشقي، قيل إنهما أخذاه عن نصراني يدعى أبو يونس سنسويه، وقد أخذ عمرو بن عبيد صاحب واصل بن عطاء فكرة نفي القدر عن معبد الجهني.

ـ تأثر المعتزلة بفلاسفة(*) اليونان في موضوع الذات والصفات، فمن ذلك قول أنبادقليس الفيلسوف اليوناني: «إن الباري تعالى لم يزل هويته فقط وهو العلم المحض وهو الإرادة المحضة وهو الجود والعزة، والقدرة والعدل والخير والحق، لا أن هناك قوى مسماة بهذه الأسماء بل هي هو، وهو هذه كلها» انظر الملل والنحل ج٢/ ص٥٨.

وكذلك قول أرسطوطاليس في بعض كتبه: «إن الباري علم كله، قدرة كله، حياة كله، بصر كله».

فأخذ العلاف وهو من شيوخ المعتزلة هذه الأفكار وقال: إن الله عالم بعلم وعلمه ذاته، قادر بقدرة وقدرته ذاته، حي بحياة وحياته ذاته.

ـ وأخذ النظام من ملاحدة الفلاسفة قوله بإبطال الجزء الذي لا يتجزأ، ثم بنى عليه قوله بالطفرة، أي أن الجسم يمكن أن يكون في مكان (أ) ثم يصبح في مكان (ج) دون أن يمر في (ب).

وهذا من عجائبه حتى قيل: إن من عجائب الدنيا: «طفرة النظام وكسب الأشعري».

ـ وإن أحمد بن خابط والفضل الحدثي وهما من أصحاب النظام قد طالعا كتب الفلاسفة ومزجا الفكر الفلسفي مع الفكر النصراني مع الفكر الهندي وقالا بما يلي:

١ ـ إن المسيح(*) هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة.

٢ ـ إن المسيح تدرع بالجسد الجسماني وهو الكلمة القديمة المتجسدة.

٣ ـ القول بالتناسخ(*).

٤ ـ وحملا كل ما ورد في الخبر عن رؤية الله تعالى على رؤية العقل الأول الذي هو أول مبتدع، وهو العقل الفعال الذي منه تفيض الصور على الموجودات.

● يؤكد العلماء تأثير الفلسفة(*) اليونانية على فكر المعتزلة بما قام به الجاحظ وهو من مصنفي المعتزلة ومفكريهم، فقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة، وتمذهب بمذهبهم ـ حتى إنه خلط وروج كثيراً من مقالاتهم بعبارته البليغة.

ـ ومنهم من يرجع فكر المعتزلة إلى الجذور الفكرية والعقدية في العراق ـ حيث نشأ المعتزلة ـ الذي يسكنه عدة فرق تنتهي إلى طوائف مختلفة، فبعضهم ينتهي إلى الكلدان، وبعضهم إلى الفرس، وبعضهم نصارى، وبعضهم يهود، وبعضهم مجوس(*). وقد دخل هؤلاء في الإسلام. وبعضهم قد فهمه على ضوء معلوماته القديمة وخلفيته الثقافية والدينية.

الفكر الاعتزالي الحديث:

● يحاول بعض الكتاب والمفكرين في الوقت الحاضر إحياء فكر المعتزلة من جديد بعد أن عفى عليه الزمن أو كاد.. فألبسوه ثوباً جديداً، وأطلقوا عليه أسماء جديدة مثل... العقلانية أو التنوير أو التجديد(*) أو التحرر الفكري أو التطور أو المعاصرة أو التيار الديني المستنير أو اليسار الإسلامي..

ـ وقد قوّى هذه النزعة التأثر بالفكر الغربي العقلاني المادي، وحاولوا تفسير النصوص الشرعية وفق العقل(*) الإنساني.. فلجؤوا إلى التأويل(*) كما لجأت المعتزلة من قبل ثم أخذوا يتلمسون في مصادر الفكر الإسلامي ما يدعم تصورهم، فوجدوا في المعتزلة بغيتهم فأنكروا المعجزات(*) المادية.. وما تفسير الشيخ محمد عبده لإهلاك أصحاب الفيل بوباء الحصبة أو الجدري الذي حملته الطير الأبابيل.. إلا من هذا القبيل.

● وأهم مبدأ معتزلي سار عليه المتأثرون بالفكر المعتزلي الجدد هو ذاك الذي يزعم أن العقل هو الطريق الوحيد للوصول إلى الحقيقة، حتى لو كانت هذه الحقيقة غيبية شرعية، أي أنهم أخضعوا كل عقيدة وكل فكر للعقل البشري القاصر.

● وأخطر ما في هذا الفكر الاعتزالي.. محاولة تغيير الأحكام الشرعية التي ورد فيها النص اليقيني من الكتاب والسنة.. مثل عقوبة المرتد، وفرضية الجهاد(*)، والحدود، وغير ذلك.. فضلاً عن موضوع الحجاب وتعدد الزوجات، والطلاق والإرث.. إلخ.. وطلب أصحاب هذا الفكر إعادة النظر في ذلك كله.. وتحكيم العقل في هذه الموضوعات. ومن الواضح أن هذا العقل الذي يريدون تحكيمه هو عقل متأثر بما يقوله الفكر الغربي حول هذه القضايا في الوقت الحاضر.

● ومن دعاة الفكر الاعتزالي الحديث سعد زغلول الذي نادى بنزع الحجاب عن المرأة المصرية، وقاسم أمين مؤلف كتاب **تحرير المرأة** و **المرأة الجديدة**، ولطفي السيد الذي أطلقوا عليه: «أستاذ الجيل» وطه حسين الذي أسموه «عميد الأدب العربي» وهؤلاء كلهم أفضوا إلى ما قدموا. هذا في البلاد العربية.

أما في القارة الهندية فظهر السير أحمد خان، الذي منح لقب سير من قبل الاستعمار(*) البريطاني. وهو يرى أن القرآن الكريم لا السنة النبوية هو أساس التشريع، وأحلّ الربا البسيط في المعاملات التجارية، ورفض عقوبة الرجم والحرابة، ونفى شرعية الجهاد لنشر الدين(*)، وهذا الأخير قال به لإرضاء الإنجليز؛ لأنهم عانوا كثيراً من جهاد المسلمين الهنود لهم.

ـ وجاء تلميذه سيد أمير علي الذي أحلّ زواج المسلمة بالكتابي، وأحل الاختلاط بين الرجل والمرأة.

ـ ومن هؤلاء، أيضاً، مفكرون علمانيون، لم يعرف عنهم الالتزام بالإسلام.. مثل زكي نجيب محمود صاحب نظرية (الوضعية المنطقية) وهي فرع من الفلسفة(*) الوضعية الحديثة التي تنكر كل أمر غيبي.. فهو يزعم أن الاعتزال جزء من التراث، ويجب أن نحييه، وعلى أبناء العصر أن يقفوا موقف المعتزلة من المشكلات القائمة (انظر كتاب **تجديد الفكر العربي** ص١٢٣).

ـ ومن هؤلاء أحمد أمين صاحب المؤلفات التاريخية والأدبية مثل **فجر الإسلام** و **ضحى الإسلام** و **ظهر الإسلام**، فهو يتباكى على موت المعتزلة في التاريخ القديم وكأن من مصلحة الإسلام بقاءَهم، ويقول في كتابه: **ضحى الإسلام**: «في رأيي أن من أكبر مصائب المسلمين موت المعتزلة» (ج٣ ص٢٠٧).

ـ ومن المعاصرين الأحياء الذين يسيرون في ركب الدعوة الإسلامية من ينادي بالمنهج(*) العقلي الاعتزالي في تطوير العقيدة والشريعة مثل الدكتور محمد فتحي عثمان في كتابه **الفكر الإسلامي والتطور**.. والدكتور حسن الترابي في دعوته إلى تجديد أصول الفقه، إذ يقول: «إن إقامة أحكام الإسلام في عصرنا تحتاج إلى اجتهاد(*) عقلي كبير، وللعقل(*) سبيل إلى ذلك لا يسع عاقلاً إنكاره، والاجتهاد الذي نحتاج إليه ليس اجتهاداً في الفروع وحدها وإنما هو اجتهاد في الأصول، أيضاً». (انظر كتاب **المعتزلة بين القديم والحديث** ص١٣٨).

ـ وهناك كتاب كثيرون معاصرون، ومفكرون إسلاميون يسيرون على المنهج نفسه

ويدعون إلى أن يكون للعقل دور كبير في الاجتهاد(*) وتطويره، وتقويم الأحكام الشرعية، حتى الحوادث التاريخية. . ومن هؤلاء فهمي هويدي ومحمد عمارة ـ صاحب النصيب الأكبر في إحياء تراث المعتزلة والدفاع عنه ـ وخالد محمد خالد ومحمد سليم العوا، وغيرهم. ولا شك في أهمية الاجتهاد وتحكيم العقل في التعامل مع الشريعة الإسلامية(*) ولكن ينبغي أن يكون ذلك في إطار نصوصها الثابتة وبدوافع ذاتية وليس نتيجة ضغوط أجنبية وتأثيرات خارجية لا تقف عند حد، وإذا انجرف المسلمون في هذا الاتجاه ـ اتجاه ترويض الإسلام بمستجدات الحياة والتأثير الأجنبي بدلاً من ترويض كل ذلك لمنهج الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ فستصبح النتيجة ألا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من الشريعة إلا رسمها، ويحصل للإسلام ما حصل للرسالات السابقة التي حرفت بسبب اتباع الأهواء والآراء حتى أصبحت لا تمت إلى أصولها بأي صلة.

ويتضح مما سبق:

أن حركة المعتزلة كانت نتيجة لتفاعل بعض المفكرين المسلمين في العصور الإسلامية مع الفلسفات السائدة في المجتمعات التي اتصل بها المسلمون. وكانت هذه الحركة نوعاً من ردة الفعل التي حاولت أن تعرض الإسلام وتصوغ مقولاته العقائدية والفكرية بالأفكار والمناهج الوافدة نفسها، وذلك دفاعاً عن الإسلام ضد ملاحدة تلك الحضارات بالأسلوب الذي يفهمونه. ولكن هذا التوجه قاد إلى مخالفات كثيرة وتجاوزات مرفوضة كما فعل المعتزلة في إنكار الصفات الإلهية تنزيهاً لله سبحانه عن مشابهة المخلوقين.

ومن الواضح، أيضاً، أن أتباع المعتزلة الجدد وقعوا فيما وقع فيه أسلافهم، وذلك أن ما يعرضونه الآن من اجتهادات إنما الهدف منه أن يظهر الإسلام بالمظهر المقبول عند أتباع الحضارة الغربية والدفاع عن نظامه العام قولاً بأنه إنْ لم يكن أحسن من معطيات الحضارة الغربية فهو ليس بأقل منها.

ولذا فلا بد أن يتعلم الخلف من أخطاء سلفهم، ويعلموا أن عزة الإسلام وظهوره على الدين كله هما في تميز منهجه وتفرد شريعته، واعتباره المرجع الذي تقاس عليه الفلسفات والحضارات في الإطار الذي يمثله الكتاب والسنة، بفهم السلف الصالح، في شمولهما وكمالهما.

مراجع للتوسع:

- **الملل والنحل** للشهرستاني.
- **الفرق بين الفرق** للبغدادي.

- **مقالات الإسلاميين** للأشعري.
- **القاضي عبد الجبار الهمداني** للدكتور عبد الكريم عثمان.
- **ابن تيمية** للشيخ محمد أبي زهرة.
- **درء تعارض العقل والنقل** لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- **البداية والنهاية** لابن كثير.
- **المعتزلة بين القديم والحديث** لمحمد العبدة وطارق عبد الحليم.
- **ضحى الإسلام** لأحمد أمين.
- **تجديد الفكر العربي** لزكي نجيب محمود.
- **دراسات في الفرق والعقائد** لعرفات عبد الحميد.
- **الدعوة إلى التجديد في منهج النقد**، عصام البشير (بحث مقدم لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لنيل درجة الماجستير).
- **عقائد السلف** لعلي سامي النشار.
- **محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة**. سليمان بن صالح الخراشي.
- **حوار هادىء مع الشيخ الغزالي**. سلمان بن فهد العودة.
- **منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير** ـ د. فهد الرومي.
- **العصريون معتزلة اليوم** ـ يوسف كمال.
- **العصرانية في حياتنا الاجتماعية**. د. عبدالرحمن بن زيد الزنيدي.
- **العصرانيون**. محمد حامد الناصر.
- **دراسات في السيرة**. محمد سرور زين العابدين.
- **تنبيه الأنام لمخالفة شلتوت الإسلام**. الشيخ عبد الله بن ياسين.
- **مفهوم تجديد الدين**. بسطامي محمد سعيد.
- **تجديد أصول الفقه**. د. حسن الترابي.
- **غزو من الداخل**. جمال سلطان.
- **مجلة كلية أصول الدين** جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية:
- «المدرسة العقلية الحديثة وصلتها بالقديمة» د. ناصر العقل. العدد الثالث سنة ١٤٠٠هـ.

ـ إسلام بلا مذاهب، د. مصطفي الشكعة ـ الدار المصرية للطباعة والنشر ـ بيروت.
ـ تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري، د. أيمن فؤاد سيد ـ الدار المصرية اللبنانية ـ ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
ـ الزيدية، أحمد محمد صبحي ـ الزهراء للإعلام العربي القاهرة.
ـ المذهب الزيدي، د. أحمد محمد صبحي ـ منشأة المعارف ـ الإسكندرية.

٧ ـ الأشاعرة

التعريف:

الأشاعرة: فرقة كلامية إسلامية، تنسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة. وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاججة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، لإثبات حقائق الدين(*) والعقيدة الإسلامية على طريقة ابن كلاب.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● **أبو الحسن الأشعري**: هو أبو الحسن علي بن إسماعيل، من ذرية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ولد بالبصرة سنة ٢٧٠هـ ومرت حياته الفكرية بثلاث مراحل:

ـ **المرحلة الأولى**: عاش فيها في كنف أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة في عصره وتلقى علومه حتى صار نائبه وموضع ثقته. ولم يزل أبو الحسن يتزعم المعتزلة أربعين سنة.

ـ **المرحلة الثانية**: ثار فيها على مذهب الاعتزال الذي كان ينافح عنه، بعد أن اعتكف في بيته خمسة عشر يوماً، يفكر ويدرس ويستخير الله تعالى حتى اطمأنت نفسه، وأعلن البراءة من الاعتزال وخط لنفسه منهجاً جديداً يلجأ فيه إلى تأويل النصوص بما ظن أنه يتفق مع أحكام العقل(*)، وفيها اتبع طريقة عبد الله بن سعيد بن كلاب في إثبات الصفات السبع عن طريق العقل: الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، أما الصفات الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق فتأولها على ما ظن أنها تتفق مع أحكام العقل، وهذه هي المرحلة التي ما زال الأشاعرة عليها.

ـ **المرحلة الثالثة**: إثبات الصفات جميعها لله تعالى من غير تكييف(*) ولا تشبيه(*) ولا تعطيل(*) ولا تحريف(*) ولا تبديل ولا تمثيل، وفي هذه المرحلة كتب كتاب **الإبانة عن أصول الديانة** الذي عبّر فيه عن تفضيله لعقيدة السلف ومنهجهم، الذي كان حامل لوائه الإمام أحمد بن حنبل. ولم يقتصر على ذلك بل خلّف مكتبة كبيرة في الدفاع عن السنة وشرح العقيدة تقدّر بثمانية وستين مؤلفاً، توفي سنة ٣٢٤هـ ودفن ببغداد ونودي على جنازته: «اليوم مات ناصر السنة».

● بعد وفاة أبي الحسن الأشعري، وعلى يد أئمة المذهب(*) وواضعي أصوله

وأركانه، أخذ المذهب الأشعري أكثر من طور، تعددت فيها اجتهاداتهم ومناهجهم في أصول المذهب وعقائده، وما ذلك إلا لأن المذهب لم يبن في البداية على منهج مؤصل، واضحة أصوله الاعتقادية، ولا كيفية التعامل مع النصوص الشرعية، بل تذبذبت مواقفهم واجتهاداتهم بين موافقة مذهب السلف والرد على المعتزلة واستخدام علم الكلام لتأييد العقيدة والرد على المعتزلة. ومن أبرز مظاهر ذلك التطور:

- القرب من أهل الكلام والاعتزال.
- الدخول في التصوف، والتصاق المذهب الأشعري به.
- الدخول في الفلسفة(*) وجعلها جزءًا من المذهب.

● **من أبرز أئمة المذهب:**

- **القاضي أبو بكر الباقلاني:** (٣٢٨ - ٤٠٣هـ) (٩٥٠ - ١٠١٣) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، من كبار علماء الكلام، هذَّب بحوث الأشعري، وتكلَّم في مقدمات البراهين العقلية للتوحيد وغالىٰ فيها كثيراً إذ لم ترد هذه المقدمات في كتاب ولا سنة، ثم انتهى إلى مذهب السلف وأثبت جميع الصفات كالوجه واليدين على الحقيقة وأبطل أصناف التأويلات التي يستعملها المؤوّلة وذلك في كتابه: **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**. ولد في البصرة وسكن بغداد وتوفي فيها. وجهه عضد الدولة سفيراً عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها. من كتبه: **إعجاز القرآن، الإنصاف، مناقب الأئمة، دقائق الكلام، الملل والنحل، الاستبصار، تمهيد الأوائل، كشف أسرار الباطنية**.

- **أبو إسحاق الشيرازي** (٣٩٣ - ٤٧٦هـ) (١٠٠٣ - ١٠٨٣م). وهو إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازي، العلامة المناظر، ولد في فيروز أباد بفارس وانتقل إلى شيراز، ثم البصرة ومنها إلى بغداد سنة (٤١٥هـ). وظهر نبوغه في الفقه الشافعي وعلم الكلام(*)، فكان مرجع الطلاب ومفتي الأمة في عصره، واشتهر بقوة الحجة في الجدل(*) والمناظرة. بنى له الوزير نظام الملك: المدرسة النظامية على شاطىء دجلة، فكان يدرس فيها ويديرها.

عاش فقيراً صابراً، وكان حسن المجالسة، طلق الوجه، فصيحاً، مناظراً، ينظم الشعر، مات ببغداد وصلى عليه المقتدي العباسي.

من مصنفاته: **التنبيه، والمهذَّب في الفقه، والتبصرة في أصول الشافعية، وطبقات الفقهاء، واللمع في أصول الفقه وشرحه، والملخص، والمعونة في الجدل**.

● **أبو إسحاق الإسفراييني:** (٤١٨هـ) (١٠٢٧م) وهو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق عالم بالفقه والأصول وكان يلقب بركن الدين وهو أول من لقب به من الفقهاء. نشأ في إسفرايين (بين نيسابور وجرجان) ثم خرج إلى نيسابور وبنيت له مدرسة عظيمة فدرس فيها، ورحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق، فاشتهر في العالم الإسلامي. ألَّف في علم الكلام كتابه الكبير، الذي سماه **الجامع في أصول الدين والرد على الملحدين**. قال ابن خلكان: رأيته في خمسة مجلدات. توفي أبو إسحاق الإسفراييني - يرحمه الله تعالى - في يوم عاشوراء سنة ثماني عشرة وأربعمائة بنيسابور ثم نقل إلى إسفرايين ودفن بها وكان قد نيف على الثمانين.

● **إمام الحرمين أبو المعالي الجويني:** (٤١٩ - ٤٧٨هـ) (١٠٢٨ - ١٠٨٥م). وهو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الفقيه الشافعي ولد في بلدة جوين (من نواحي نيسابور) ثم رحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور فيها أربع سنين، وذهب إلى المدينة المنورة فأفتى ودرّس. ثم عاد إلى نيسابور فبنى له فيها الوزير نظام الملك المدرسة النظامية، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء. وبقي على ذلك قريباً من ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع، ودافع فيها عن الأشعرية فشاع ذكره في الآفاق، إلا أنه في نهاية حياته رجع إلى مذهب السلف. وقد قال في رسالته **النظامية**: والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقيدة اتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة. . . . ويعضد ذلك ما ذهب إليه في كتابه **غياث الأمم في التياث الظلم**، فبالرغم من أن الكتاب مخصص لعرض الفقه السياسي الإسلامي فقد قال فيه: «والذي أذكره الآن لائقاً بمقصود هذا الكتاب، أن الذي يحرص الإمام عليه جمع عامة الخلق على مذاهب السلف السابقين، قبل أن نبغت الأهواء وزاغت الآراء وكانوا رضي الله عنهم ينهون عن التعرض للغوامض والتعمق في المشكلات. . .».

- نقل القرطبي في شرح مسلم أن الجويني كان يقول لأصحابه: «يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلت به». توفي رحمه الله بنيسابور وكان تلامذته يومئذٍ أربعمائة. ومن مصنفاته. **العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، البرهان في أصول الفقه، ونهاية المطلب في دراية المذهب في فقه الشافعية، والشامل في أصول الدين**.

● **أبو حامد الغزالي:** (٤٥٠ - ٥٠٥هـ) (١٠٥٨ - ١١١١م) وهو محمد بن محمد الغزالي الطوسي، حجة الإسلام. . . ولد في الطابران، قصبة طوس بخراسان وتُوفِّي فيها. رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد، فالحجاز، فبلاد الشام، فمصر ثم عاد إلى بلدته. لم يسلك الغزالي مسلك الباقلاني، بل خالف الأشعري في بعض الآراء وخاصة فيما

وأركانه، أخذ المذهب الأشعري أكثر من طور، تعددت فيها اجتهاداتهم ومناهجهم في أصول المذهب وعقائده، وما ذلك إلا لأن المذهب لم يبن في البداية على منهج مؤصل، واضحة أصوله الاعتقادية، ولا كيفية التعامل مع النصوص الشرعية، بل تذبذبت مواقفهم واجتهاداتهم بين موافقة مذهب السلف والرد على المعتزلة واستخدام علم الكلام لتأييد العقيدة والرد على المعتزلة. ومن أبرز مظاهر ذلك التطور:

- القرب من أهل الكلام والاعتزال.
- الدخول في التصوف، والتصاق المذهب الأشعري به.
- الدخول في الفلسفة(*) وجعلها جزءًا من المذهب.

● **من أبرز أئمة المذهب:**

- **القاضي أبو بكر الباقلاني:** (٣٢٨ - ٤٠٣هـ) (٩٥٠ - ١٠١٣) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، من كبار علماء الكلام، هذَّب بحوث الأشعري، وتكلَّم في مقدمات البراهين العقلية للتوحيد وغالىٰ فيها كثيراً إذ لم ترد هذه المقدمات في كتاب ولا سنة، ثم انتهى إلى مذهب السلف وأثبت جميع الصفات كالوجه واليدين على الحقيقة وأبطل أصناف التأويلات التي يستعملها المؤوّلة وذلك في كتابه: **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**. ولد في البصرة وسكن بغداد وتوفي فيها. وجهه عضد الدولة سفيراً عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها. من كتبه: **إعجاز القرآن، الإنصاف، مناقب الأئمة، دقائق الكلام، الملل والنحل، الاستبصار، تمهيد الأوائل، كشف أسرار الباطنية**.

- **أبو إسحاق الشيرازي** (٣٩٣ - ٤٧٦هـ) (١٠٠٣ - ١٠٨٣م). وهو إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازي، العلامة المناظر، ولد في فيروز أباد بفارس وانتقل إلى شيراز، ثم البصرة ومنها إلى بغداد سنة (٤١٥هـ). وظهر نبوغه في الفقه الشافعي وعلم الكلام(*)، فكان مرجع الطلاب ومفتي الأمة في عصره، واشتهر بقوة الحجة في الجدل(*) والمناظرة. بنى له الوزير نظام الملك: المدرسة النظامية على شاطىء دجلة، فكان يدرس فيها ويديرها.

عاش فقيراً صابراً، وكان حسن المجالسة، طلق الوجه، فصيحاً، مناظراً، ينظم الشعر، مات ببغداد وصلى عليه المقتدي العباسي.

من مصنفاته: **التنبيه، والمهذَّب في الفقه، والتبصرة في أصول الشافعية، وطبقات الفقهاء، واللمع في أصول الفقه وشرحه، والملخص، والمعونة في الجدل**.

● **أبو إسحاق الإسفراييني:** (٤١٨هـ) (١٠٢٧م) وهو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق عالم بالفقه والأصول وكان يلقب بركن الدين وهو أول من لقب به من الفقهاء. نشأ في إسفرايين (بين نيسابور وجرجان) ثم خرج إلى نيسابور وبنيت له مدرسة عظيمة فدرس فيها، ورحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق، فاشتهر في العالم الإسلامي. ألَّف في علم الكلام كتابه الكبير، الذي سماه **الجامع في أصول الدين والرد على الملحدين**. قال ابن خلكان: رأيته في خمسة مجلدات. توفي أبو إسحاق الإسفراييني - يرحمه الله تعالى - في يوم عاشوراء سنة ثماني عشرة وأربعمائة بنيسابور ثم نقل إلى إسفرايين ودفن بها وكان قد نيف على الثمانين.

● **إمام الحرمين أبو المعالي الجويني:** (٤١٩ - ٤٧٨هـ) (١٠٢٨ - ١٠٨٥م). وهو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الفقيه الشافعي ولد في بلدة جوين (من نواحي نيسابور) ثم رحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور فيها أربع سنين، وذهب إلى المدينة المنورة فأفتى ودرّس. ثم عاد إلى نيسابور فبنى له فيها الوزير نظام الملك المدرسة النظامية، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء. وبقي على ذلك قريباً من ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع، ودافع فيها عن الأشعرية فشاع ذكره في الآفاق، إلا أنه في نهاية حياته رجع إلى مذهب السلف. وقد قال في رسالته **النظامية**: والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقيدة اتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة. . . . ويعضد ذلك ما ذهب إليه في كتابه **غياث الأمم في التياث الظلم**، فبالرغم من أن الكتاب مخصص لعرض الفقه السياسي الإسلامي فقد قال فيه: «والذي أذكره الآن لائقاً بمقصود هذا الكتاب، أن الذي يحرص الإمام عليه جمع عامة الخلق على مذاهب السلف السابقين، قبل أن نبغت الأهواء وزاغت الآراء وكانوا رضي الله عنهم ينهون عن التعرض للغوامض والتعمق في المشكلات. . .».

- نقل القرطبي في شرح مسلم أن الجويني كان يقول لأصحابه: «يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلت به». توفي رحمه الله بنيسابور وكان تلامذته يومئذٍ أربعمائة. ومن مصنفاته. **العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، البرهان في أصول الفقه، ونهاية المطلب في دراية المذهب في فقه الشافعية، والشامل في أصول الدين**.

● **أبو حامد الغزالي:** (٤٥٠ - ٥٠٥هـ) (١٠٥٨ - ١١١١م) وهو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، حجة الإسلام. . . ولد في الطابران، قصبة طوس بخراسان وتُوفِّي فيها. رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد، فالحجاز، فبلاد الشام، فمصر ثم عاد إلى بلدته. لم يسلك الغزالي مسلك الباقلاني، بل خالف الأشعري في بعض الآراء وخاصة فيما

يتعلق بالمقدمات العقلية في الاستدلال، وذم علم الكلام وبيَّن أن أدلته لا تفيد اليقين كما في كتبه **المنقذ من الضلال**، وكتاب **التفرقة بين الإيمان والزندقة**(*)، وحرم الخوض فيه فقال: «لو تركنا المداهنة لصرحنا بأن الخوض في هذا العلم حرام». اتجه نحو التصوف، واعتقد أنه الطريق الوحيد للمعرفة.. وعاد في آخر حياته إلى السنة من خلال دراسة صحيح البخاري.

● **الإمام الفخر الرازي** (٥٤٤هـ ـ ١١٥٠م) (٦٠٦هـ ـ ١٢١٠م): هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الطبرستاني الرازي المولد، الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي، قال عنه صاحب **وفيات الأعيان** «إنه فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام(*)، والمعقولات» اهـ. وهو المعبر عن المذهب(*) الأشعري في مرحلته الأخيرة، حيث خلط الكلام بالفلسفة(*)، بالإضافة إلى أنه صاحب القاعدة الكلية التي انتصر فيها للعقل وقدمه على الأدلة الشرعية. قال فيه الحافظ ابن حجر في **لسان الميزان**: (٤/ ٤٢٦ ـ ٤٢٩): «كان له تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث الحيرة، وكان يورد شبه الخصوم بدقة ثم يورد مذهب أهل السنة على غاية من الوهن» إلا أنه أدرك عجز العقل(*) فأوصى وصية تدل على حسن اعتقاده، فقد نبه في أواخر عمره إلى ضرورة اتباع منهج(*) السلف، وأعلن أنه أسلم المناهج بعد أن دار دورته في طرق علم الكلام(*) فقال: «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق، طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] و﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ في النفي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] و﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، ثم قال في حسرة وندامة: «ومن جرب تجربتي عرف معرفتي» اهـ. (**الحموية الكبرى** لابن تيمية).

ومن أشهر كتبه في علم الكلام: **أساس التقديس في علم الكلام**، **شرح قسم للإلهيات من إشارات ابن سينا**، **واللوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات**، **البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والضلال**، **كافية العقول**.

الأفكار والمعتقدات:

● مصدر التلقي عند الأشاعرة: الكتاب والسنة على مقتضى قواعد علم الكلام؛ ولذلك فإنهم يقدمون العقل على النقل عند التعارض، صرح بذلك الرازي في القانون الكلي للمذهب في **أساس التقديس** والآمدي وابن فورك وغيرهم.

ـ عدم الأخذ بأحاديث الآحاد(*) في العقيدة لأنها لا تفيد العلم اليقيني ولا مانع من

الاحتجاج بها في مسائل السمعيات أو فيما لا يعارض القانون العقلي. والمتواتر(*) منها يجب تأويله، ولا يخفى مخالفة هذا لما كان عليه السلف الصالح من أصحاب القرون المفضلة، ومن سار على نهجهم، إذ كان النبي ﷺ يرسل الرسل فرادى لتبليغ الإسلام، كما أرسل معاذاً إلى أهل اليمن، ولقوله ﷺ: «**نضر الله امرءاً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها كما سمعها**...» الحديث، وحديث تحويل القبلة وغير ذلك من الأدلة.

ـ مذهب طائفة منهم، وهم صوفيتهم كالغزالي والجامي، في مصدر التلقي، تقديم الكشف(*) والذوق على النص، وتأويل النص ليوافقه. ويسمون هذا «العلم اللدني» جرياً على قاعدة الصوفية «حدثني قلبي عن ربي». وكما وضح ذلك في الرسالة اللدنية ١/ ١١٤ ـ ١١٨ من مجموعة **القصور العوالي**، **كبرى اليقينيات** لمحمد سعيد رمضان البوطي، الإهداء ـ ٣٢ ـ ٣٥. ولا يخفى ما في هذا من البطلان والمخالفة لمنهج(*) أهل السنة والجماعة(*)، وإلا فما الفائدة من إرسال الرسل وإنزال الكتب؟

● يقسم الأشاعرة أصول العقيدة بحسب مصدر التلقي إلى ثلاثة أقسام:

ـ قسم مصدره العقل(*) وحده وهو معظم الأبواب ومنه باب الصفات ولهذا يسمون الصفات التي تثبت بالعقل «عقلية» وهذا القسم يحكم العقل بوجوبه دون توقف على الوحي(*) عندهم، أما ما عدا ذلك من صفات خبرية دل عليها الكتاب والسنة فإنهم يؤولونها.

ـ قسم مصدره العقل والنقل معاً كالرؤية ـ على خلاف بينهم فيها.

ـ قسم مصدره النقل وحده وهو السمعيات ذات المغيبات من أمور الآخرة كعذاب القبر والصراط والميزان، وهو مما لا يحكم العقل باستحالته، فالحاصل أنهم في صفات الله جعلوا العقل حاكماً، وفي إثبات الآخرة جعلوا العقل عاطلاً، وفي الرؤية جعلوه مساوياً. أما في مذهب أهل السنة والجماعة فلا منافاة بين العقل والنقل أصلاً، ولا تقديم للعقل في جانب وإهماله في جانب آخر، وإنما يُبدأ بتقديم النقل على العقل.

● خالف الأشاعرة مذهب السلف في إثبات وجود الله تعالى، ووافقوا الفلاسفة والمتكلمين في الاستدلال على وجود الله تعالى بقولهم: إن الكون حادث ولا بد له من محدث قديم، وأخص صفات القديم مخالفته للحوادث، وعدم حلوله فيها، ومن مخالفته للحوادث إثبات أنه ليس بجوهر ولا جسمٍ ولا في جهة ولا في مكان. وقد رتبوا على ذلك من الأصول الفاسدة ما لا يدخل تحت حصر مثل: إنكارهم صفات الرضا والغضب والاستواء، بشبهة نفي حلول الحوادث في القديم من أجل الرد على القائلين بقدم العالم، بينما طريقة

السلف هي طريقة القرآن الكريم في الاستدلال على وجود الخالق سبحانه وتعالى.

● التوحيد عند الأشاعرة هو نفي التثنية والتعدد بالذات ونفي التبعيض والتركيب والتجزئة، أي نفي الكمية المتصلة والمنفصلة. وفي ذلك يقولون: إن الله واحد في ذاته لا قسيم له، واحد في صفاته لا شبيه له، واحد في أفعاله لا شريك له. ولذلك فسروا الإله(*) بأنه الخالق أو القادر على الاختراع، وأنكروا صفات الوجه واليدين والعين؛ لأنها تدل على التركيب والأجزاء عندهم. وفي هذا مخالفة كبيرة لمفهوم التوحيد عند أهل السنة والجماعة(*) من سلف الأمة ومن تبعهم، وبذلك جعل الأشاعرة التوحيد هو إثبات ربوبية الله عز وجل دون ألوهيته وتأويل بعض صفاته.

وهكذا خالف الأشاعرة أهل السنة والجماعة في معنى التوحيد، إذ يعتقد أهل السنة والجماعة أن التوحيد الذي هو أول واجب على العبيد إفراد الله تعالى بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته على نحو ما أثبته تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ، من غير تحريف(*) أو تعطيل(*) أو تكييف أو تمثيل.

ـ إن أول واجب عند الأشاعرة إذا بلغ الإنسان سن التكليف هو النظر أو القصد إلى النظر ثم الإيمان، ولا تكفي المعرفة الفطرية، ثم اختلفوا فيمن آمن بغير ذلك بين تعصيته وتكفيره.

بينما يعتقد أهل السنة والجماعة أن أول واجب على المكلفين هو عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له، وتوحيده توحيد الألوهية بدليل الكتاب والسنة والإجماع(*)، وأن معرفة الله تعالى أمر فطري مركوز في النفوس.

ـ يعتقد الأشاعرة تأويل الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعين واليمين والقدم والأصابع، وكذلك صفتا العلو والاستواء. وقد ذهب المتأخرون منهم إلى تفويض معانيها إلى الله تعالى على أن ذلك واجب يقتضيه التنزيه، ولم يقتصروا على تأويل آيات الصفات بل توسعوا في باب التأويل(*)، فشمل أكثر نصوص الإيمان، خاصة فيما يتعلق بإثبات الزيادة والنقصان، وكذلك موضوع عصمة الأنبياء. أما مذهب السلف فإنهم يثبتون النصوص الشرعية دون تأويل معنى النص - بمعنى تحريفه - أو تفويضه(*)، سواءً أكان في نصوص الصفات أم في غيرها.

● الأشاعرة في الإيمان بين: المرجئة(*) التي تقول يكفي النطق بالشهادتين دون العمل لصحة الإيمان، وبين الجهمية(*) التي تقول يكفي التصديق القلبي. ورجح الشيخ حسن أيوب من المعاصرين أن المصدق بقلبه ناجٍ عند الله وإن لم ينطق بالشهادتين، (تبسيط

العقائد الإسلامية ٢٩ ـ ٣٢). ومال إليه البوطي في (كبرى اليقينيات ١٩٦). وفي هذا مخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة الذين يقولون إن الإيمان قول وعمل واعتقاد، ومخالفة لنصوص القرآن الكريم الكثيرة، منها: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]. وعليه يكون إبليس من الناجين من النار؛ لأنه من المصدقين بقلوبهم، وكذلك أبو طالب عم النبي ﷺ، ولم يكن هناك داع لحرص النبي ﷺ على قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله وغير ذلك كثير.

● الأشاعرة مضطربون في قضية التكفير(*). فتارة يقولون لا نكفر أحداً، وتارة يقولون لا نكفر إلا من كفرنا، وتارة يقولون بأمور توجب التفسيق والتبديع أو بأمور لا توجب التفسيق والتبديع، فمثلاً يكفرون من يثبت علو الله الذاتي أو من يأخذ بظواهر النصوص، إذ يقولون: إن الأخذ بظواهر النصوص من أصول الكفر.

أما أهل السنة والجماعة(*) فيرون أن التكفير حق لله تعالى لا يطلق إلا على من يستحقه شرعاً، ولا تردد في إطلاقه على من ثبت كفره بإثبات شروط وانتفاء موانع.

● قولهم بأن القرآن ليس كلام الله على الحقيقة ولكنه كلام الله النفسي وأن الكتب بما فيها القرآن مخلوقة. يقول صاحب **الجوهرة**: «يمتنع أن يقال إن القرآن مخلوق إلا في مقام التعليم» وذلك في محاولة لم يحالفها النجاح للتوفيق بين أهل السنة والجماعة(*) والمعتزلة. أما مذهب أهل السنة والجماعة فهو: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه تعالى يتكلم بكلام مسموع تسمعه الملائكة وسمعه جبريل وسمعه موسى ـ عليه السلام ـ ويسمعه الخلائق يوم القيامة. يقول تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

● والإيمان والطاعة بتوفيق الله، والكفر(*) والمعصية بخذلانه، والتوفيق عند الأشعري، خلق القدرة على الطاعة، والخذلان عنده خلق القدرة على المعصية، وعند بعض أصحاب الأشعري، تيسير أسباب الخير هو التوفيق وضده الخذلان.

● كل موجود يصح أن يرى، والله موجود يصح أن يُرى، وقد ورد في القرآن أن المؤمنين يرونه في الآخرة، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. ولكن يرى الأشاعرة أنه لا يجوز أن تتعلق به الرؤية على جهة ومكان وصورة ومقابلة واتصال شعاع فإن كل ذلك مستحيل. وفي ذلك نفي لعلو الله تعالى والجهة، بل ونفي للرؤية نفسها. ويقترب الرازي كثيراً من قول المعتزلة في تفسيره للرؤية بأنها مزيد من الانكشاف العلمي.

● حصر الأشاعرة دلائل النبوة(*) بالمعجزات(*) التي هي الخوارق، موافقة للمعتزلة

وإن اختلفوا معهم في كيفية دلالتها على صدق النبي، بينما يرى جمهور أهل السنة أن دلائل ثبوت النبوة(*) للأنبياء كثيرة ومنها المعجزات.

● صاحب الكبيرة(*) إذا خرج من الدنيا بغير توبة حكمه إلى الله تعالى، إما أن يغفر له برحمته، وإما أن يشفع فيه النبي ﷺ(*)، موافقة لمذهب(*) أهل السنة والجماعة(*).

● يعتقد الأشاعرة أن قدرة العبد لا تأثير لها في حدوث مقدورها، ولا في صفة من صفاته، وأن الله تعالى أجرى العادة بخلق مقدورها مقارناً لها، فيكون الفعل خلقاً من الله وكسباً من العبد لوقوعه مقارناً لقدرته. ولقد عدَّ المحققون «الكسب» هذا من محالات الكلام وضربوا له المثل في الخفاء والغموض، فقالوا: «أخفى من كسب الأشعري»، وقد خرج إمام الحرمين وهو من تلاميذ الأشعري عن هذا الرأي، وقال بقول أهل السنة والجماعة بل الأشعري نفسه، في كتاب **الإبانة**، رجع عن هذا الرأي.

● قالوا بنفي الحكمة والتعليل في أفعال الله مطلقاً، ولكنهم قالوا إن الله يجعل لكل نبي معجزة لأجل إثبات صدق النبي، فتناقضوا في ذلك بين ما يسمونه نفي الحكمة والغرض وبين إثبات الله للرسول(*) المعجزة تفريقاً بينه وبين المتنبىء.

● وافق الأشاعرة أهل السنة والجماعة في الإيمان بأحوال البرزخ، وأمور الآخرة من: الحشر والنشر، والميزان، والصراط، والشفاعة والجنة والنار؛ لأنها من الأمور الممكنة التي أخبر بها الصادق ﷺ، وأيدتها نصوص الكتاب والسنة، وبذلك جعلوها من النصوص السمعية.

● كما وافقوهم في القول في الصحابة على ترتيب خلافتهم، وأن ما وقع بينهم كان خطأ وعن اجتهاد منهم، ولذا يجب الكف عن الطعن فيهم؛ لأن الطعن فيهم إما كفر، أو بدعة، أو فسق، كما يرون الخلافة في قريش، وتجوز الصلاة خلف كل برٍّ وفاجر، ولا يجوز الخروج على أئمة الجور، بالإضافة إلى موافقة أهل السنة في أمور العبادات والمعاملات.

● فضلاً عن تصدي الأشعري للمعتزلة ومحاجتهم بنفس أسلوبهم الكلامي ليقطع شبهاتهم ويرد حجتهم عليهم، تصدى، أيضاً، للرد على الفلاسفة والقرامطة والباطنية(*)، والروافض(*) وغيرهم من أهل الأهواء الفاسدة والنحل الباطلة.

● والأشعري في كتاب **الإبانة عن أصول الديانة** الذي هو آخر ما ألَّف من الكتب على أصح الأقوال[1]، رجع عن كثير من آرائه الكلامية إلى طريق السلف في الإثبات وعدم

(١) كما بين ذلك الحافظ ابن عساكر في **تبيين كذب المفتري** ص ١٣٦، والحافظ البيهقي في كتاب **الاعتقاد** ص ٩٦، ١٠٩، وكذلك ظهرت دراسات جادة قام بها بعض الباحثين أثبت ذلك مثل: **المذاهب الإسلامية** للبروي ص ٥١٨، ومقدمة **الإبانة** لفوقية محمد ص ٢٧.

التأويل.. يقول رحمه الله: «وقولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا عليه السلام، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ـ نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته ـ قائلون، ولما خالف قوله مخالفون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق، ودفع به ضلال الشاكِّين، فرحمة الله عليه من إمام مقدَّم وجليل معظَّم وكبير مفخَّم».

● إن مدرسة الأشعري الفكرية لا تزال مهيمنة على الحياة الدينية في العالم الإسلامي، ولكنها كما يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: «فقدت حيويتها ونشاطها الفكري، وضعف إنتاجها في الزمن الأخير ضعفاً شديداً، وبدت فيها آثار الهرم والإعياء». لماذا؟

ـ لأن التقليد طغى على تلاميذ هذه المدرسة، وأصبح علم الكلام(*) لديهم علماً متناقلاً بدون تجديد في الأسلوب.

ـ لإدخال مصطلحات الفلسفة(*) وأسلوبها في الاستدلال في علم الكلام.. فكان لهذا أثر سيىء في الفكر الإسلامي، لأن هذا الأسلوب لا يفيد العلم القطعي... ولهذا لم يتمثل الأشاعرة بعد ذلك مذهب أهل السنة والجماعة(*) ومسلك السلف، تمثُّلاً صحيحاً، لتأثرهم بالفلاسفة وإن هم أنكروا ذلك.. حتى الغزالي نفسه الذي حارب الفلاسفة في كتابه **تهافت الفلاسفة** يقول عنه تلميذه القاضي ابن العربي: «شيخنا أبو حامد دخل في بطون الفلاسفة، ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر».

ـ تصدى الإمام ابن تيمية لجميع المذاهب الإسلامية التي اعتقد أنها انحرفت عن الكتاب والسنة ـ ومنهم الأشاعرة وبخاصة المتأخرة منهم ـ في كتابه القيم: **درء تعارض العقل والنقل**، وفنَّد آراءهم الكلامية، وبيَّن أخطاءهم وأكَّد أن أسلوب القرآن والسنة هو الأسلوب اليقيني للوصول إلى حقيقة التوحيد والصفات وغير ذلك من أمور العقيدة.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● كما رأينا في آراء أبي الحسن الأشعري في مرحلته الثانية أن العقيدة الإسلامية، كما هي في الكتاب والسنة، على منهج(*) ابن كلاب هي الأساس في آرائه الكلامية وفق ما يتفق مع أحكام العقل(*).

● تأثر أئمة المذهب بعد أبي الحسن الأشعري ببعض أفكار ومعتقدات الجهمية(*) من الإرجاء(*) والتعطيل(*)، وكذلك بالمعتزلة والفلاسفة في نفي بعض الصفات وتحريف نصوصها، ونفي العلو والصفات الخبرية، كما تأثروا بالجبرية(*) في مسألة القدر(*).

● لا ينفي ذلك تأثرهم بعقيدة أهل السنة والجماعة(*) فيما وافقوهم فيها.

الانتشار ومواقع النفوذ:

انتشر المذهب(*) الأشعري في عهد وزارة نظام الملك الذي كان أشعريَّ العقيدة، وصاحب الكلمة النافذة في الإمبراطورية السلجوقية، وكذلك أصبحت العقيدة الأشعرية عقيدة شبه رسمية تتمتع بحماية الدولة.

وزاد في انتشارها وقوتها مدرسة بغداد النظامية، ومدرسة نيسابور النظامية، وكان يقوم عليهما رواد المذهب الأشعري، وكانت المدرسة النظامية في بغداد أكبر جامعة إسلامية في العالم الإسلامي وقتها، كما تبنى المذهب وعمل على نشره المهدي بن تومرت مهدي الموحدين، ونور الدين محمود زنكي، والسلطان صلاح الدين الأيوبي، بالإضافة إلى اعتماد جمهرة من العلماء عليه، وبخاصة فقهاء الشافعية والمالكية المتأخرين. ولذلك انتشر المذهب في العالم الإسلامي كله، وما زال المذهب الأشعري سائداً في أكثر البلاد الإسلامية وله جامعاته ومعاهده المتعددة.

يتضح مما سبق:

أن الأشاعرة فرقة كلامية إسلامية تنسب إلى أبي الحسن الأشعري في مرحلته الثانية التي خرج فيها على المعتزلة ودعا فيها إلى التمسك بالكتاب والسنة، على طريقة ابن كلاب، وهي تثبت بالعقل(*) الصفات العقلية السبع فقط لله تعالى، (الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام). واختلفوا في صفة البقاء، أما الصفات الاختيارية والمتعلقة بالمشيئة من الرضا والغضب والفرح والمجيء والنزول فقد نفوها، بينما يؤولون الصفات الخبرية لله تعالى أو يفوضون معناها. ويؤمن متأخرو الأشاعرة ببعض الأفكار المنحرفة عن عقيدة أهل السنة والجماعة(*) التي تصدى لها ولغيرها شيخ الإسلام ابن تيمية، في مجال العقيدة خاصة، إذ أكد أن أسلوب القرآن والسنة بفهم السلف الصالح هو الأسلوب اليقيني للوصول إلى حقيقة التوحيد والصفات وغير ذلك من أمور العقيدة والدين. وعموماً فإن عقيدة الأشاعرة تنسب إلى عقيدة أهل السنة والجماعة بالمعنى العام في مقابل الخوارج والشيعة(*) والمعتزلة، وأن الأشاعرة، وبخاصة أشاعرة العراق الأوائل أمثال أبي الحسن الأشعري، والباهلي، وابن مجاهد، والباقلاني وغيرهم، أقرب إلى السنة والحق من الفلاسفة والمعتزلة، بل من أشاعرة خراسان كأبي بكر بن فورك وغيره، وإنهم لَيُحمدون على مواقفهم في الدفاع عن السنة والحق في وجه الباطنية(*) والرافضة(*) والفلاسفة، فكان لهم

جهدهم المحمود في هتك أستار الباطنية وكشف أسرارهم، بل كان لهم جهادهم المشكور في كسر سورة المعتزلة والجهمية(*). وعلى ذلك فإن حسناتهم على نوعين كما صرح شيخ الإسلام ابن تيمية: «إما موافقة السنة والحديث، وإما الرد على من خالف السنة والحديث ببيان تناقض حججهم». ويقول، أيضاً: «ومنهم من يذمهم لما وقع في كلامهم من البدع(*) والباطل، وخير الأمور أوسطها». درء **التعارض** ٢/ ١٠٢، ١٠٣. ويقول في كتاب **النبوات**: «حيث إن خطأهم بعد اجتهادهم مغفور» ٢٢٠. وأخيراً يقول في درء **التعارض**: «.. فإن الواحد من هؤلاء له مساع مشكورة في نصر ما نصره من الإسلام والرد على طوائف من المخالفين لما جاء به الرسول. فحمدهم والثناء عليهم بما لهم من السعي الداخل في طاعة الله ورسوله، وإظهار العلم الصحيح... وما من أحد من هؤلاء ولا من هو أفضل منه إلا وله غلط في مواضع» ٨/ ٢٧٥.

مراجع للتوسع:

(أ) مراجع المذهب:

- أساس التقديس - فخر الدين الرازي.
- الشامل - لإمام الحرمين أبو المعالي الجويني.
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني.
- الرسالة اللدنية من مجموعة القصور العوالي - أبو حامد الغزالي.
- الإنصاف فيما يجوز اعتقاده ولا يجوز الجهل به - للقاضي أبي محمد بن الطيب الباقلاني.
- لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة لأبي المعالي الجويني.
- شرح الباجوري على الجوهرة - للباجوري.
- تبسيط العقائد الإسلامية - حسن أيوب.
- الله جل جلاله - سعيد حوى.
- أركان الإيمان وهبي سليمان غاوجي.
- كبرى اليقينيات - محمد سعيد رمضان البوطي.

(ب) مراجع وكتب غير المذهب

- الإبانة في أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي.

(ب) كتب ومراجع لغير المذهب:

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي.
- الأسماء والصفات، البيهقي.
- الإيمان، [مجموع الفتاوى: ٧/ ٤ ـ ٤٢١] شيخ الإسلام ابن تيمية.
- الإكليل في المتشابه والتأويل [مجموع الفتاوي: ١٣/ ٢٧٠ ـ ٣١٤] ـ شيخ الإسلام ابن تيمية.
- درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق د. رشاد محمد سالم.
- اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية، ابن قيم الجوزية، تحقيق د. عبدالله المعتق.
- ذم التأويل، ابن قدامة المقدسي.
- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، عبدالرحمٰن بن يحيىٰ اليماني المعلمي.
- البريلوية عقائد وتاريخ، إحسان إلٰهي ظهير.
- الماتريدية، رسالة ماجستير، أحمد بن عوض الله اللهيبي الحربي.
- الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات، رسالة ماجستير، للشمس الأفغاني السلفي.
- منهج الماتريدية في العقيدة، د. محمد بن عبدالرحمٰن الخميس.
- مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد الحفيد [أبو الوليد الأصغر محمد بن أحمد الفلسفي].
- براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة، د. أبو زيد بكر بن عبدالله أبو زيد.
- مقدمة شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ـ محمد ناصر الدين الألباني.
- الاستقامة، شيخ الإسلام ابن تيمية.
- الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه ـ محمد آمان بن علي الجامي.

الصوفية الذي لم يكن في جوهره سبباً من أسباب الانحراف. وحتى يقف الشباب المسلم على طبيعة التصوف فإننا نعرض فيما يلي للصوفية بصورة عامة، ثم إلى ما تفرع عنها كالتيجانية والختمية والسنوسية والشاذلية. ثم نعرض لمن تأثر بها بقدر أو بآخر مثل: الديوبندية، والتبليغ، والنورسية، ومع أن المهدية هي نسيج وحدها في تصوراتها إلا أنها على الرغم من نفيها للصوفية فقد دخلت إليها من باب آخر، وأيًا كان مكان دراستها فإننا نختم بهذه الجماعات التي تأثرت بالصوفية والله المستعان.

٢٧- الصوفية

التعريف:

التصوُّف حركة(*) دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعاتٍ فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة تعبيراً عن فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري. ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقا مميزة معروفة باسم الصوفية، ويتوخّى المتصوفة تربية النفس، والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف(*) والمشاهدة لا عن طريق اتباع الوسائل الشرعية، ولذا جنحوا في المسار حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات(*) الوثنية(*): الهندية والفارسية واليونانية المختلفة. ويلاحظ أن هناك فروقاً جوهرية بين مفهومي الزهد والتصوف أهمها: أن الزهد مأمور به، والتصوف جنوح عن طريق الحق الذي اختطَّه أهل السنة والجماعة(*).

التأسيس وأبرز الشخصيات:

مقدمة مهمة:

● خلال القرنين الأولين ابتداءً من عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين حتى وفاة الحسن البصري، لم تعرف الصوفية لا باسمها ولا برسمها وسلوكها، بل كانت التسمية الجامعة: المسلمين، المؤمنين، أو التسميات الخاصة مثل: الصحابي، البدري، أصحاب البيعة(*)، التابعي.

لم يعرف ذلك العهد هذا الغلو(*) العملي التعبُّدي أو العلمي الاعتقادي إلا بعض النزعات الفردية نحو التشديد على النفس الذي نهاهم عنه النبي(*) ﷺ في أكثر من مناسبة، ومنها قوله للرهط الذين سألوا عن عبادته ﷺ: «**لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

وقوله ﷺ للحولاء بنت نويت التي طوَّقت نفسها بحبل حتى لا تنام عن قيام الليل كما في حديث عائشة رضي الله عنها: «**عليكم من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يملّ حتى تملوا، وأحبُّ العمل إلى الله أدْوَمُه وإن قل**».

- وهكذا كان عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم على هذا المنهج يسيرون، يجمعون بين العلم والعمل، والعبادة والسعي على النفس والعيال، وبين العبادة والجهاد(*)، والتصدي للبدع والأهواء مثلما تصدى ابن مسعود رضي الله عنه لبدعة(*) الذكر الجماعي بمسجد

الكوفة وقضى عليها، وتصدّيه لأصحاب معضّد بن يزيد العجلي لما اتخذوا دوراً خاصة للعبادة في بعض الجبال وردهم عن ذلك.

● **ظهور العُبّاد**: في القرن الثاني الهجري في عهد التابعين وبقايا الصحابة ظهرت طائفة من العباد آثروا العزلة وعدم الاختلاط بالناس فشددوا على أنفسهم في العبادة على نحو لم يُعهد من قبل، ومن أسباب ذلك بزوغ بعض الفتن الداخلية، وإراقة بعض الدماء الزكية، فآثروا اعتزال المجتمع تصوُّناً عما فيه من الفتن، وطلباً للسلامة في دينهم، يضاف إلى ذلك، أيضاً، فتح الدنيا أبوابها أمام المسلمين، وبخاصة بعد اتساع الفتوحات الإسلامية، وانغماس بعض المسلمين فيها، وشيوع الترف والمجون بين طبقة من السفهاء، مما أوجد ردة فعل عند بعض العباد وبخاصة في البصرة والكوفة، إذ كانت بداية الانحراف عن المنهج(*) الأول في جانب السلوك.

ـ ففي الكوفة ظهرت جماعة من أهلها اعتزلوا الناس وأظهروا الندم الشديد بعد مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه، وسموا أنفسهم بالتوّابين أو البكّائين. كما ظهرت طبقة من العبّاد غلب عليهم جانب التشدد في العبادة والبعد عن المشاركة في مجريات الدولة، مع علمهم وفضلهم والتزامهم بآداب الشريعة، واشتغالهم بالكتاب والسنة تعلماً وتعليماً، بالإضافة إلى صدعهم بالحق وتصديهم لأهل الأهواء. كما ظهر فيهم الخوف الشديد من الله تعالى، والإغماء والصعق عند سماع القرآن الكريم مما استدعى الإنكار عليهم من بعض الصحابة وكبار التابعين كأسماء بنت أبي بكر وعبدالله بن الزبير ومحمد بن سيرين ونحوهم رضي الله عنهم، وبسببهم شاع لقب العُبّاد والزُهّاد والقُرّاء في تلك الفترة. ومن أعلامهم: عامر بن عبدالله بن الزبير، وصفوان بن سليم، طلق بن حبيب العنزي، عطاء السلمي، الأسود بن يزيد بن قيس، وداود الطائي، وبعض أصحاب الحسن البصري.

● **بداية الانحراف**: كدأب أي انحراف يبدأ صغيراً، ثم ما يلبث أن يتسع مع مرور الأيام، فقد تطور مفهوم الزهد في الكوفة والبصرة في القرن الثاني للهجرة على أيدي كبار الزهاد أمثال: إبراهيم بن أدهم، مالك بن دينار، وبشر الحافي، ورابعة العدوية، وعبدالواحد بن زيد، إلى مفهوم لم يكن موجوداً عند الزهاد السابقين من تعذيب للنفس بترك الطعام، وتحريم تناول اللحوم، والسياحة في البراري والصحارى، وترك الزواج. يقول مالك بن دينار: «لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة، ويأوي إلى مزابل الكلاب». وذلك دون سند من قدوة سابقة أو نص كتاب أو سنة، ولكن مما يجدر التنبيه عليه أنه قد نُسب إلى هؤلاء الزهاد من الأقوال المرذولة والشطحات المستنكرة ما لم

يثبت عنهم بشكل قاطع كما يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية.

ـ وفي الكوفة أخذ معضد بن يزيد العجلي هو وقبيلُه يروِّضون أنفسهم على هجر النوم، وإدامة الصلاة، حتى سلك سبيلهم مجموعة من زهاد الكوفة، فأخذوا يخرجون إلى الجبال للانقطاع للعبادة، على الرغم من إنكار ابن مسعود عليهم في السابق.

ـ وظهرت من بعضهم مثل رابعة العدوية أقوال مستنكرة في الحب والعشق الإلهي للتعبير عن المحبة بين العبد وربه، وظهرت تبعاً لذلك مفاهيم خاطئة حول العبادة من كونها لا طمعاً في الجنة ولا خوفاً من النار مخالفةً لقول الله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ـ يلخص شيخ الإسلام ابن تيمية هذا التطور في تلك المرحلة بقوله: «في أواخر عصر التابعين حدث ثلاثة أشياء: الرأي، والكلام(*)، والتصوف، فكان جمهور الرأي في الكوفة، وكان جمهور الكلام والتصوف في البصرة، فإنه بعد موت الحسن وابن سيرين ظهر عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء، وظهر أحمد بن علي الهجيمي (ت ٢٠٠هـ) تلميذ عبدالواحد بن زيد، تلميذ الحسن البصري، وكان له كلام في القدر(*)، وبنى دويرة للصوفية ـ وهي أول ما بني في الإسلام ـ أي داراً بالبصرة غير المساجد للالتقاء على الذكر والسماع ـ وصار لهم حال من السماع والصوت ـ إشارة إلى الغناء ـ وكان أهل المدينة أقرب من هؤلاء في القول والعمل، وأما الشاميون فكان غالبهم مجاهدين».

● ومنذ ذلك العهد أخذ التصوف عدة أطوار أهمها:

ـ **البداية والظهور**: ظهر مصطلح التصوف والصوفية أول ما ظهر في الكوفة بسبب قُربها من بلاد فارس، والتأثُّر بالفلسفة(*) اليونانية بعد عصر الترجمة، ثم بسلوكيات رهبان(*) أهل الكتاب، وقد تنازع العلماء والمؤرخون في أول مَن تسمَّى به. على أقوال ثلاثة:

١ ـ قول شيخ الإسلام ابن تيمية ومن وافقه: أن أول من عُرف بالصوفي هو أبو هاشم الكوفي (ت ١٥٠هـ) أو (١٦٢هـ) بالشام بعد أن انتقل إليها، وكان معاصراً لسفيان الثوري (ت ١٥٥هـ) قال عنه سفيان: «لولا أبو هاشم ما عُرِفت دقائق الرياء». وكان معاصراً لجعفر الصادق، وينسب إلى الشيعة(*) الأوائل، ويسميه الشيعة مخترع الصوفية.

٢ ـ يذكر بعض المؤرخين أن عبدك ـ عبدالكريم أو محمد ـ المتوفى (سنة ٢١٠هـ) هو أول من تسمى بالصوفي، ويذكر عنه الحارث المحاسبي أنه كان من طائفة نصف شيعية تسمي نفسها صوفية تأسست بالكوفة. بينما يذكر الملطي في **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع** أن عبدك كان رأس فرقة من الزنادقة(*) الذين زعموا أن الدنيا كلها حرام، لا يحل لأحد منها إلا

القوت، على أن أئمة الهدى ذهبوا إلى أن الدنيا لا تحل إلا بإمام عادل، وإلا فهي حرام، ومعاملة أهلها حرام.

٣ ـ يذهب ابن النديم في الفهرست إلى أن جابر بن حيان تلميذ جعفر الصادق والمتوفى (سنة ٢٠٨هـ) أول من تسمى بالصوفي، والشيعة تعده من أكابرهم، والفلاسفة ينسبونه إليهم.

ـ وقد تنازع العلماء، أيضاً، في نسبة الاشتقاق على أقوال كثيرة أرجحها:

١ ـ ما رجَّحه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن خلدون وطائفة كبيرة من العلماء من أنها نسبة إلى الصُّوف، إذ كان شعار رهبان(*) أهل الكتاب الذين تأثر بهم الأوائل من الصوفية، وبالتالي فقد أبطلوا كل الاستدلالات والاشتقاقات الأخرى على مقتضى قواعد اللغة العربية، مما يبطل محاولة نسبة الصوفية أنفسهم لأهل الصُّفَّة من أصحاب رسول(*) الله ﷺ، أو محاولة نسبة أنفسهم إلى علي بن أبي طالب والحسن البصري وسفيان الثوري رضي الله عنهم جميعاً، وهي نسبة تفتقر إلى الدليل ويعوزها الحجة والبرهان.

٢ ـ الاشتقاق الآخر ما رجحه أبو الريحان البيروني ٤٤٠هـ وفون هامر حديثاً وغيرهما من أنها مشتقة من كلمة سوف SOPH اليونانية والتي تعني الحكمة. ويدلِّل أصحاب هذا الرأي على صحته بانتشاره في بغداد وما حولها بعد حركة الترجمة النشيطة في القرن الثاني الهجري، بينما لم تعرف في الفترة نفسها في جنوب وغرب العالم الإسلامي. ويضاف إلى الزمان والمكان التشابه في أصل الفكرة عند الصوفية واليونان، إذ تظهر عند الفئتين أفكار وحدة الوجود والحلول(*) والإشراق(*) والفيض(*). كما استدلوا على قوة هذا الرأي بما ورد عن كبار الصوفية مثل السهروردي ـ المقتول ردة ـ بقوله: «وأما أنوار السلوك في هذه الأزمنة القريبة فخميرة الفيثاغورثيين وقعت إلى أخي أخميم «ذي النون المصري»، ومنه نزلت إلى سيارستري وشيعته «أي سهل التستري» وأضافوا إلى ذلك ظهور مصطلحات أخرى مترجمة عن اليونانية في ذلك العصر، مثل: الفلسفة(*)، الموسيقا، الموسيقار، السفسطة(*)، الهيولى.

● **طلائع الصوفية**: ظهر في القرنين الثالث والرابع الهجري ثلاث طبقات من المنتسبين إلى التصوف وهي:

● **الطبقة الأولى**: وتمثل التيار الذي اشتهر بالصدق في الزهد إلى حد الوساوس، والبعد عن الدنيا والانحراف في السلوك والعبادة على وجه يخالف ما كان عليه الصدر الأول من الرسول(*) ﷺ وصحابته، بل وعن عبّاد القرن السابق له، ولكنه كان يغلب على أكثرهم الاستقامة على العقيدة، والإكثار من دعاوى التزام السنة ونهج السلف، وإن كان ورد عن

بعضهم ـ مثل الجنيد ـ بعض العبارات التي عدها العلماء من الشطحات، ومن أشهر رموز هذا التيار:

ـ **الجنيد**: هو أبو القاسم الخراز المتوفى (٢٩٨هـ) يلقبه الصوفية بسيد الطائفة، ولذلك يعد من أهم الشخصيات ويعتمد المتصوفة على أقواله وآرائه وبخاصة في التوحيد والمعرفة والمحبة. وقد تأثر بآراء ذي النون النوبي؛ فهذبها، وجمعها ونشرها من بعده تلميذه الشبلي، ولكنه خالف طريقة ذي النون والحلاّج والبسطامي في الفناء(*)؛ إذ كان يُؤثر الصحو(*) على السكر(*)، وينكر الشطحات، ويؤثر البقاء على الفناء، فللفَناءِ عنده معنى آخر، وقد أنكر على المتصوفة سقوط التكاليف(*). وقد تأثر الجنيد بأستاذه الحارث المحاسبي والذي يعد أول من خلط الكلام(*) بالتصوف، وبخاله السري السقطي (ت٢٥٣هـ).

وهناك آخرون تشملهم هذه الطبقة أمثال: أبو سليمان الداراني، عبدالرحمن بن أحمد بن عطية العني (ت ٢٠٥هـ)، وأحمد بن أبي الحواري، الحسن بن منصور بن إبراهيم أبو علي الشطوي الصوفي. وقد روى عنه البخاري في صحيحه، والسري بن المغلس السقطي أبو الحسن (ت ٢٥٣هـ)، سهل بن عبدالله التستري (ت ٢٧٣هـ)، معروف الكرخي أبو محفوظ (ت ٢٠٠هـ)، وقد أتى مِن بعدهم مَن سار على طريقتهم مثل: أبي عبدالرحمن السلمي (٤١٢هـ) ومحمد بن الحسين الأزدي السلمي، ومحمد بن الحسن بن الفضل بن العباس أبو يعلى البصري الصوفي (٣٦٨هـ) شيخ الخطيب البغدادي.

ـ **ومن أهم السمات الأخرى لهذه الطبقة**: بداية التميز عن جمهور المسلمين والعلماء، وظهور مصطلحات(*) تدل على ذلك بشكل مهَّد لظهور الطرق من بعد، مثل قول بعضهم: علمُنا، مذهبنا(*)، طريقنا، قال الجنيد: «علمنا مشتبك مع حديث رسول(*) الله ﷺ» وهو انتساب محرم شرعاً، إذ يفضي إلى البدعة(*) والمعصية، بل وإلى الشرك، أيضاً، وقد اشترطوا على من يريد السير معهم في طريقتهم أن يَخرُجَ من ماله، وأن يُقلَّ من غذائه، وأن يترك الزواج ما دام في سلوكه.

ـ كثر الاهتمام بالوعظ والقصص مع قلة العلم والفقه(*) والتحذير من تحصيلهما في الوقت الذي اقتدى أكثرهم بسلوكيات رهبان(*) ونُسَّاك أهل الكتاب، إذ حدث الالتقاء ببعضهم، مما زاد في البعد عن سمت الصحابة وأئمة التابعين. ونتج عن ذلك اتخاذ دور للعبادة غير المساجد؛ يلتقون فيها للاستماع للقصائد الزهدية أو قصائد ظاهرها الغزل بقصد مدح النبي(*) ﷺ مما سبَّب العداء الشديد بينهم وبين الفقهاء، كما ظهرت فيهم ادعاءات

الكشف(*) والخوارق وبعض المقولات الكلامية. وفي هذه الفترة ظهرت لهم تصانيف كثيرة في مثل: كتاب أبي طالب المكي، **قوت القلوب وحلية الأولياء**، لأبي نعيم الأصبهاني، وكتب الحارث المحاسبي. وقد حذر العلماء الأوائل من هذه الكتب لاشتمالها على الأحاديث الموضوعة والمنكرة، واشتمالها على الإسرائيليات وأقوال أهل الكتاب. سئل الإمام أبو زرعة عن هذه الكتب فقيل له: في هذه عبرة؟ قال: من لم يكن له في كتاب الله عز وجل عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة.

● ومن أهم هذه السمات المميزة لمذاهب(*) التصوف والقاسم المشترك للمنهج(*) المميز بينهم في تناول العبادة وغيرها ما يسمونه «الذوق»، والذي أدى إلى اتساع الخرق عليهم، فلم يستطيعوا أن يحموا نهجهم الصوفي من الاندماج أو التأثر بعقائد وفلسفات(*) غير إسلامية، مما سهَّل على اندثار هذه الطبقة وزيادة انتشار الطبقة الثانية التي زاد غلوها(*) وانحرافها.

● **الطبقة الثانية**: خلطت الزهد بعبارات الباطنية(*)، وانتقل فيها الزهد من الممارسة العملية والسلوك التطبيقي إلى مستوى التأمل التجريدي والكلام النظري، ولذلك ظهر في كلامهم مصطلحات: الوحدة، والفناء(*)، والاتحاد(*)، والحلول(*)، والسكر(*)، والصحو(*)، والكشف(*)، والبقاء، والمريد، والعارف، والأحوال، والمقامات، وشاع بينهم التفرقة بين الشريعة والحقيقة، وتسمية أنفسهم أرباب الحقائق وأهل الباطن، وسموا غيرهم من الفقهاء أهل الظاهر والرسوم، مما زاد العداء بينهما، وغير ذلك مما كان غير معروف عند السلف الصالح من أصحاب القرون المفضلة، ولا عند الطبقة الأولى من المنتسبين إلى الصوفية، مما زاد في انحرافها، فكانت بحق تمثل البداية الفعلية لما صار عليه تيار التصوف حتى الآن.

● **ومن أهم أعلام هذه الطبقة**: أبو اليزيد البسطامي (ت ٢٦٣هـ)، ذو النون المصري (ت ٢٤٥هـ)، الحلاج (ت ٣٠٩هـ) أبو سعيد الخزار (٢٧٧ ـ ٢٨٦هـ)، الحكيم الترمذي (ت ٣٢٠هـ)، أبو بكر الشبلي (٣٣٤هـ) وسنكتفي هنا بالترجمة لمن كان له أثره البالغ فيمن جاء بعده إلى اليوم مثل:

ـ **ذو النون المصري**: وهو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم، قبطي(*) الأصل من أهل النوبة، من قرية أخميم بصعيد مصر، توفي (سنة ٢٤٥هـ) أخذ التصوف عن شقران العابد أو إسرائيل المغربي على حسب رواية ابن خلكان وعبدالرحمن الجامي. ويؤكد الشيعة(*) في كتبهم ويوافقهم ابن النديم في الفهرست أنه أخذ علم الكيمياء عن جابر بن حيان، ويذكر ابن

خلكان أنه كان من الملامتية(*) الذين يخفون تقواهم عن الناس، ويظهرون استهزاءهم بالشريعة(*)، وذلك مع اشتهاره بالحكمة والفصاحة.

ويعدُّه كُتَّاب الصوفية المؤسسَ الحقيقي لطريقتهم في المحبة والمعرفة، وأول من تكلم عن المقامات والأحوال في مصر، وقال بالكشف(*) وأن للشريعة(*) ظاهراً وباطناً. ويذكر القشيري في رسالته أنه أول من عرَّف التوحيد بالمعنى الصوفي، وأول من وضع تعريفات للوجد والسماع، وأنه أول من استعمل الرمز في التعبير عن حاله، وقد تأثر بعقائد الإسماعيلية الباطنية(*) وإخوان الصفا(*) بسبب صِلاته القوية بهم؛ إذ تزامن مع فترة نشاطهم في الدعوة إلى مذاهبهم(*) الباطلة، فظهرت له أقوال في علم الباطن، والعلم اللدني، والاتحاد(*)، وإرجاع أصل الخلق إلى النور المحمدي، وكان لعلمه باللغة القبطية(*) أثره على حل النقوش والرموز المرسومة على الآثار القبطية في قريته، مما مكَّنه من تعلم فنون التنجيم(*) والسحر والطلاسم التي اشتغل بها. ويعد ذو النون أول من وقف من المتصوفة على الثقافة اليونانية، ومذهب(*) الأفلاطونية الجديدة، وبخاصة ثيولوجيا أرسطو في الإلهيات، ولذلك كان له مذهبه الخاص في المعرفة والفناء(*) متأثراً بالغنوصية(*).

ـ **أبو يزيد البسطامي**: طيفور بن عيسى بن آدم بن سروشان، ولد في بسطام من أصل مجوسي(*)، وقد نسبت إليه أقوال شنيعة يشكك الكثير من الباحثين في صدق نسبتها إليه مثل قوله: «خرجت من الحق إلى الحق حتى صاح فيّ: يا من أنت أنا، فقد تحققت بمقام الفناء في الله»، «سبحاني ما أعظم شأني» وهي أقوال لا تُغفَر لصاحبها، سواءً أكان في حالة سكر(*) أم صحو(*)، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يعده من أصحاب هذه الطبقة ويشكك في صدق نسبتها إليه، إذ كانت له أقوال تدل على تمسكه بالسنة. ومن علماء أهل السنة والجماعة(*) من يضعه مع الحلاج والسهروردي في طبقة واحدة.

ـ **الحكيم الترمذي**: أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسين الترمذي المتوفى (سنة ٣٢٠هـ) أول من تكلم في ختم الولاية، وألف كتاباً في هذا أسماه **ختم الولاية**. كان سبباً لاتهامه بالكفر وإخراجه من بلده ترمذ، يقول عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: «تكلم طائفة من الصوفية في «خاتم الأولياء» وعظَّموا أمره كالحكيم الترمذي، وهو من غلطاته، فإن الغالب على كلامه الصحة بخلاف ابن عربي فإنه كثير التخليط». [**مجموع الفتاوى** ١/ ٣٦٣]. وينسب إليه أنه قال: «للأولياء(*) خاتم كما أن للأنبياء(*) خاتماً»، مما مهد الطريق أمام فلاسفة الصوفية أمثال ابن عربي وابن سبعين وابن هود والتلمساني للقول بخاتم الأولياء(*)، وأن مقامه يفضل مقام خاتم الأنبياء(*).

● **الطبقة الثالثة:**

وفيها اختلط التصوف بالفلسفة(*) اليونانية، وظهرت أفكار الحلول(*) والاتحاد(*) ووحدة الوجود، على أن الموجود الحق هو الله، وما عداه صور زائفة وأوهام وخيالات موافقة لقول الفلاسفة، كما أثرت في ظهور نظريات الفيض(*) والإشراق(*) على يد الغزالي والسهروردي. وبذلك تعد هذه الطبقة من أخطر الطبقات والمراحل التي مر بها التصوف والتي تعدت به مرحلة البدع العملية إلى البدع العلمية التي بها يخرج التصوف عن الإسلام بالكلية. ومن أشهر رموز هذه الطبقة: الحلاج (ت ٣٠٩هـ)، السهروردي (ت ٥٨٧هـ)، ابن عربي (ت ٦٣٨هـ)، ابن الفارض (٦٣٢هـ) ابن سبعين (ت ٦٦٧هـ).

ـ **الحلاَّج**: أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج (٢٤٤ ـ ٣٠٩هـ) ولد بفارس حفيداً لرجل زرادشتي، ونشأ في واسط بالعراق، وهو أشهر الحلوليين والاتحاديين، رمي بالكفر(*) وقتل مصلوباً لتهم أربع وُجِّهت إليه:

١ ـ اتصاله بالقرامطة.

٢ ـ قوله «أنا الحق».

٣ ـ اعتقاد أتباعه ألوهيته.

٤ ـ قوله في الحج، إذ يرى أن الحج إلى البيت الحرام ليس من الفرائض الواجب أداؤها.

وقد كان في شخصية الحلاج الكثير من الغموض، فضلاً عن كونه متشدداً وعنيداً ومغالياً. له كتاب **الطواسين** الذي أخرجه وحققه المستشرق الفرنسي ماسنيون.

● يرى بعض الباحثين أن أفراد الطائفة في القرن الثالث الهجري كانوا على علم باطني واحد، منهم من كتمه ويشمل أهل الطبقة الأولى بالإضافة إلى الشبلي القائل: «كنت أنا والحسين بن منصور ـ الحلاج ـ شيئاً واحداً إلا أنه أظهر وكتمت»، ومنهم من أذاع وباح به ويشمل الحلاج وطبقته فأذاقهم الله طعم الحديد، على ما صرَّحت به المرأة وقت صلبه بأمر من الجنيد حسب رواية المستشرق الفرنسي ماسنيون.

● **ظهور الطرق:**

وضع أبو سعيد محمد أحمد الميهمي الصوفي الإيراني (٣٥٧ ـ ٤٣٠هـ) تلميذ أبي عبدالرحمن السلمي أوّل هيكل تنظيمي للطرق الصوفية بجعله متسلسلاً عن طريق الوراثة.

● يعد القرن الخامس امتداداً لأفكار القرون السابقة، التي راجت من خلال مصنفات أبي عبدالرحمن السلمي، المتوفى (٤١٢هـ) والتي يصفها ابن تيمية بقوله: «يوجد في كتبه

من الآثار الصحيحة والكلام المنقول ما ينتفع به في الدين(*)، ويوجد فيه من الآثار السقيمة والكلام المردود ما يضر من لا خبرة له، وبعض الناس توقَّف في روايته» [**مجموع الفتاوى** ١/ ٥٧٨]، فقد كان يضع الأحاديث لصالح الصوفية.

● ما بين النصف الثاني من القرن الخامس وبداية السادس في زمن أبي حامد الغزالي الملقَّب بحجَّة الإسلام (ت ٥٠٥هـ) أخذ التصوف مكانه عند من حسبوا على أهل السنة(*). وبذلك انتهت مرحلة الرواد الأوائل أصحاب الأصول غير الإسلامية، ومن أعلام هذه المرحلة التي تمتد إلى يومنا هذا:

ـ **أبو حامد الغزالي**، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الملقب بحجة الإسلام (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ) ولد بطوس من إقليم خراسان، نشأ في بيئة كثرت فيها الآراء والمذاهب(*) مثل: علم الكلام(*) والفلسفة(*)، والباطنية(*)، والتصوف، مما أورثه حيرة وشكًّا دفعه للتقلُّب بين هذه المذاهب الأربعة السابقة أثناء إقامته في بغداد، رحل إلى جرجان ونيسابور، ولازم نظام الملك، درس في المدرسة النظامية ببغداد، واعتكف في منارة مسجد دمشق، ورحل إلى القدس، ومنها إلى الحجاز، ثم عاد إلى موطنه. وقد ألف عدداً من الكتب منها: **تهافُت الفلاسفة**، و**المنقذ من الضلال**، وأهمها **إحياء علوم الدين**. ويعد الغزالي رئيس مدرسة الكشف(*) في المعرفة، التي تسلمت راية التصوف من أصحاب الأصول الفارسية إلى أصحاب الأصول السنية، ومن جليل أعماله هدمُه للفلسفة اليونانية، وكشفه لفضائح الباطنية في كتابه **المستظهري** أو **فضائح الباطنية**. ويحكي تلميذه عبدالغافر الفارسي آخرَ مراحل حياته، بعد ما عاد إلى بلده طوس، قائلاً: «وكانت نهاية أمره إقباله على حديث المصطفى ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين ـ البخاري ومسلم ـ اللذين هما حجة الإسلام» ا. هـ. وذلك بعد أن صحب أهل الحديث في بلده من أمثال: أبي سهيل محمد بن عبدالله الحفصي الذي قرأ عليه صحيح البخاري، والقاضي أبي الفتح الحاكمي الطوسي الذي سمع عليه سنن أبي داود [**طبقات السبكي** ٤/ ١١٠].

ـ وفي هذه المرحلة ألّف كتابه **إلجام العوام عن علم الكلام**، الذي ذم فيه علم الكلام(*) وطريقته، وانتصر لمذهب(*) السلف ومنهجهم(*) فقال: «الدليل على أن مذهب السلف هو الحق: أن نقيضه بدعة(*)، والبدعة مذمومة وضلالة، والخوض من جهة العوام في التأويل(*) والخوض بهم من جهة العلماء بدعة مذمومة، وكان نقيضه هو الكف عن ذلك سنة محمودة» ص [٩٦].

- وفيه، أيضاً، رجع عن القول بالكشف(*) وإدراك خصائص النبوة(*) وقواها، والاعتماد في التأويل(*) أو الإثبات على الكشف الذي كان يراه قبل مرحلة إلجام العوام.

● يمثل القرن السادس الهجري البداية الفعلية للطرق الصوفية وانتشارها، إذ انتقلت من إيران إلى المشرق الإسلامي، فظهرت الطريقة القادرية المنسوبة لعبدالقادر الجيلاني، المتوفى سنة (٥٦١هـ)، وقد رزق بتسعة وأربعين ولداً، حمل أحد عشر منهم تعاليمه ونشروها في العالم الإسلامي، ويزعم أتباعه أنه أخذ الخرقة والتصوف عن الحسن البصري عن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - على الرغم من عدم لقائه بالحسن البصري، كما نسبوا إليه من الأمور العظيمة فيما لا يقدر عليها إلا الله تعالى من معرفة الغيب، وإحياء الموتى، وتصرفه في الكون حيًّا أو ميتاً، بالإضافة إلى مجموعة من الأذكار والأوراد والأقوال الشنيعة. ومن هذه الأقوال أنه قال مرة في أحد مجالسه: «قدمي هذه على رقبة كل ولي(*) لله»، وكان يقول: «من استغاث بي في كربة كشفت عنه، ومن ناداني في شدة فرجت عنه، ومن توسل بي في حاجة قضيت له»، ولا يخفى ما في هذه الأقوال من الشرك وادعاء الربوبية.

- يقول السيد محمد رشيد رضا: «يُنقل عن الشيخ الجيلاني من الكرامات وخوارق العادات ما لم ينقل عن غيره، والنقاد من أهل الرواية لا يحفلون بهذه النقول إذ لا أسانيد لها يحتج بها» [**دائرة المعارف الإسلامية** ١١/ ١٧١].

● كما ظهرت الطريقة الرفاعية المنسوبة لأبي العباس أحمد بن أبي الحسين الرفاعي (ت ٥٤٠هـ) ويطلق عليها البطائحية نسبةً إلى مكان ولاية بالقرب من قرى البطائح بالعراق، وينسج حوله كُتَّاب الصوفية - كدأبهم مع من ينتسبون إليهم - الأساطير والخرافات، بل ويرفعونه إلى مقام الربوبية. ومن هذه الأقوال: «كان قطب الأقطاب(*) في الأرض، ثم انتقل إلى قطبية السماوات، ثم صارت السماوات السبع في رجله كالخلخال» [**طبقات الشعراني** ص ١٤١، **قلادة الجواهر** ص ٤٢].

- وقد تزوج الرفاعي العديد من النساء، ولكنه لم يعقب، ولذلك خلفه على المشيخة من بعده علي بن عثمان (ت ٥٨٤هـ) ثم خلفه عبدالرحيم بن عثمان (ت ٦٠٤هـ)، ولأتباعه أحوال وأمور غريبة ذكرها الحافظ الذهبي ثم قال: «لكن أصحابه فيهم الجيد والرديء».

- وفي هذا القرن ظهرت شطحات وزندقة(*) السهروردي شهاب الدين أبي الفتوح محيي الدين بن حسن (٥٤٩ - ٥٨٧هـ)، صاحب مدرسة الإشراق(*) الفلسفية التي أساسها

الجمع بين آراء مستمدة من ديانات الفرس القديمة ومذاهبها في ثنائية الوجود وبين الفلسفة اليونانية في صورتها الأفلاطونية الحديثة ومذهبها في الفيض أو الظهور المستمر، ولذلك اتهمه علماء حلب بالزندقة(*) والتعطيل(*) والقول بالفلسفة(*) الإشراقية، مما حدا بهم أن يكتبوا إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي محضراً بكفره(*) وزندقته فأمر بقتله ردة، وإليه تنسب الطريقة السهروردية ومذاهبها في الفيض(*) أو الظهور المستمر. ومن كتبه: **حكمة الإشراق**(*)، **هياكل النور**، **التلويحات العرشية**، **والمقامات**.

● تحت تأثير تراكمات مدارس الصوفية في القرون السالفة أعاد ابن عربي، وابن الفارض، وابن سبعين بعثَ عقيدة الحلاج، وذي النون المصري، والسهروردي.

● في القرن السابع الهجري دخل التصوف الأندلس وأصبح ابن عربي الطائي الأندلسي أحد رؤوس الصوفية حتى لُقِّب بالشيخ الأكبر.

- **محيي الدين بن عربي**: الملقب بالشيخ الأكبر (٥٦٠ - ٦٣٨هـ) رئيس مدرسة وحدة الوجود، يعد نفسه خاتم الأولياء(*)، ولد بالأندلس، ورحل إلى مصر، وحج، وزار بغداد، واستقر في دمشق، إذ مات ودفن، وله فيها الآن قبر يُزار، طرح نظرية الإنسان الكامل التي تقوم على أن الإنسان وحده من بين المخلوقات يمكن أن تتجلّى فيه جميع الصفات الإلهية إذا تيسر له الاستغراق في وحدانية الله، وله كتب كثيرة يوصلها بعضهم إلى ٤٠٠ كتاب ورسالة لا يزال بعضها محفوظاً بمكتبة يوسف أغا بقونية ومكتبات تركيا الأخرى، وأشهر كتبه: **روح القدس**(*)، و**ترجمان الأشواق**(*)، وأبرزها: **الفتوحات المكية** و**فصوص الحكم**.

- **أبو الحسن الشاذلي (٥٩٣ - ٦٥٦هـ)**: صاحبَ ابن عربي مراحل الطلب - طلب العلم - ولكنهما افترقا، إذ فضّل أبو الحسن مدرسة الغزالي في الكشف(*)، بينما فضل ابن عربي مدرسة الحلاج وذي النون المصري، وقد أصبح لكلتا المدرستين أنصارهما إلى الآن داخل طرق الصوفية، مع ما قد تختلط عند بعضهم المفاهيم فيهما، ومن أشهر تلاميذ مدرسة أبي الحسن الشاذلي (ت ٦٥٦هـ) أبو العباس المرسي (ت ٦٨٦هـ)، وإبراهيم الدسوقي، وأحمد البدوي (ت ٦٧٥هـ). ويلاحظ على أصحاب هذه المدرسة إلى اليوم كثرة اعتذارها وتأويلها(*) لكلام ابن عربي ومدرسته.

● وفي القرن السابع ظهر، أيضاً، جلال الدين الرومي صاحب الطريقة المولوية بتركيا (ت ٦٧٢هـ).

● أصبح القرنان الثامن والتاسع الهجري ما هما إلا تفريع وشرح لكتب ابن عربي وابن

الفارض وغيرهما، ولم تظهر فيه نظريات جديدة في التصوف. ومن أبرز سمات القرن التاسع اختلاط أفكار كلتا المدرستين. وفي القرن الثامن ظهر محمد بهاء الدين النقشبندي مؤسس الطريقة النقشبندية (ت ٧٩١هـ). وكذلك القرن العاشر ما كان إلا شرحاً أو دفاعاً عن كتب ابن عربي، فزاد الاهتمام فيه بتراجم أعلام التصوف، والتي اتسمت بالمبالغة الشديدة. ومن كتّاب تراجم الصوفية في هذا القرن: عبدالوهاب الشعراني (ت ٩٧٣هـ) صاحب **الطبقات الصغرى والكبرى**.

● وفي القرون التالية اختلط الأمر على الصوفية، وانتشرت الفوضى بينهم، واختلطت فيهم أفكار كلتا المدرستين وبدأت مرحلة الدراويش.

ـ ومن أهم ما تتميز به القرون المتأخرة ظهور ألقاب شيخ السجادة، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية، والخليفة، والبيوت الصوفية التي هي أقسام فرعية من الطرق نفسها مع وجود شيء من الاستقلال الذاتي يمارس بمعرفة الخلفاء، كما ظهرت فيها التنظيمات والتشريعات المنظمة للطرق تحت مجلس وإدارة واحدة وقد بدأ المجلس بفرمان أصدره محمد علي باشا والي مصر يقضي بتعيين محمد البكري خلفاً لوالده شيخاً للسجادة البكرية، وتفويضه في الإشراف على جميع الطرق والتكايا والزوايا والمساجد التي بها أضرحة. كما له الحق في وضع مناهج التعليم التي تعطى فيها. وذلك كله في محاولة لتقويض سلطة شيخ الأزهر وعلمائه، وقد تطورت نظمه وتشريعاته ليعرف فيما بعد بالمجلس الأعلى للطرق الصوفية في مصر.

ومن أشهر رموز هذه القرون المتأخرة:

ـ عبدالغني النابلسي (١٠٥٠ ـ ١١٤٣هـ).

ـ أبو السعود البكري المتوفى (١٨١٢م) أول من عرف بشيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر بشكل غير رسمي.

ـ أبو الهدى الصيادي الرفاعي (١٢٢٠ ـ ١٢٨٧هـ).

ـ عمر الفوتي الطوري السنغالي الأزهري التيجاني (ت ١٢٨١هـ)، ومما يحسن ذكره له أنه اهتم بنشر الإسلام بين الوثنيين(*)، وكوَّن لذلك جيشاً، وخاض به حروباً مع الوثنيين، واستولى على مملكة سيغو وعلى بلاد ماسينه. ومن مؤلفاته: **سيوف السعيد، سفينة السعادة، رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم**.

ـ محمد عثمان الميرغني (ت ١٢٦٨هـ) ستأتي ترجمة له في مبحث الختمية.

ـ أبو الفيض محمد بن عبدالكبير الكتاني، فقيه متفلسف، من أهل فاس بالمغرب، أسس الطريقة الكتانية (١٢٩٠ ـ ١٣٢٧هـ)، انتقد عليه علماء فاس بعض أقواله ونسبوه إلى فساد الاعتقاد. ومن كتبه: **حياة الأنبياء، لسان الحجة البرهانية في الذب عن شمائر الطريقة الأحمدية الكتانية**.

ـ أحمد التيجاني (ت ١٢٣٠هـ) ستأتي ترجمة له في مبحث التيجانية.

ـ حسن رضوان (١٢٣٩ ـ ١٣١٠هـ) صاحب أرجوزة **روض القلوب المستطاب** في التصوف.

ـ صالح بن محمد بن صالح الجعفري الصادقي (١٣٢٨ ـ ١٣٩٩هـ) انتسب إلى الطريقة الأحمدية الإدريسية بعد ما سافر إلى مصر والتحق بالأزهر، وأخذ الطريقة عن الشيخ محمد بخيت المطيعي، والشيخ حبيب الله الشنقيطي، والشيخ يوسف الدجوي، ومن كتبه: **الإلهام النافع لكل قاصد، القصيدة التائية، الصلوات الجعفرية**.

الأفكار والمعتقدات:

● **مصادر التلقي:**

ـ **الكشف**(*): ويعتمد الصوفية الكشف مصدراً وثيقاً للعلوم والمعارف، بل تحقيق غاية عبادتهم، ويدخل تحت الكشف الصوفي جملة من الأمور الشرعية والكونية منها:

١ ـ **النبي**(*) ﷺ: ويقصدون به الأخذ عنه يقظة أو مناماً.

٢ ـ **الخضر عليه الصلاة والسلام**: كثرت حكاياتهم عن لقياه، والأخذ عنه أحكاماً شرعية وعلوماً دينية، وكذلك الأوراد، والأذكار والمناقب.

٣ ـ **الإلهام**: من الله تعالى مباشرة، وبه جعلوا مقام الصوفي فوق مقام النبي، إذ يعتقدون أن الولي(*) يأخذ العلم مباشرة عن الله تعالى، بينما الرسول أو النبي يأخذه من الملك الذي يوحي(*) به إليه(*).

٤ ـ **الفراسة**: والتي تختص بمعرفة خواطر النفوس وأحاديثها.

٥ ـ **الهواتف**: من سماع الخطاب من الله تعالى، أو من الملائكة، أو الجن الصالح، أو من أحد الأولياء، أو الخضر، أو إبليس، مناماً أو يقظة أو في حالة بينهما بواسطة الأذن.

٦ ـ **الإسراءات والمعاريج**: ويقصدون بها عروج روح الولي إلى العالم العلوي، وجولاتها هناك، والإتيان منها بشتى العلوم والأسرار.

٧ ـ **الكشف الحسي**: بالكشف عن حقائق الوجود بارتفاع الحجب الحسية عن عين القلب وعين البصر.

٨ ـ **الرؤى والمنامات**: وتعد من أكثر المصادر اعتماداً عليها، إذ يزعمون أنهم يتلقَّون فيها عن الله تعالى، أو عن النبي ﷺ، أو عن أحد شيوخهم لمعرفة الأحكام الشرعية.

ـ **الذوق**: وله إطلاقان:

١ ـ الذوق العام الذي ينظم جميع الأحوال والمقامات، ويرى الغزالي في كتابه **المنقذ من الضلال** إمكان السالك أن يتذوَّق حقيقة النبوة، وأن يدرك خاصيتها بالمنازلة.

٢ ـ أما الذوق الخاص فتتفاوت درجاته بينهم حيث يبدأ بالذوق ثم الشرب.

ـ **الوجد**: وله ثلاث مراتب:

١ ـ التواجد.

٢ ـ الوجد.

٣ ـ الوجود.

ـ **التلقي عن الأنبياء غير النبي، ﷺ، وعن الأشياخ المقبورين.**

● تتشابه عقائد الصوفية وأفكارهم وتتعدد بتعدد مدارسهم وطرقهم، ويمكن إجمالها فيما يلي:

ـ يعتقد المتصوفة في الله تعالى عقائد شتى؛ منها الحلول(*) كما هو مذهب(*) الحلاج، ومنها وحدة الوجود حيث عدم الانفصال بين الخالق والمخلوق، ومنهم من يعتقد بعقيدة الأشاعرة والماتريدية في ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته.

ـ والغلاة(*) منهم يعتقدون في الرسول(*) ﷺ، أيضاً، عقائد شتى؛ فمنهم من يزعم أن الرسول ﷺ لا يصل إلى مرتبتهم وحالهم، وأنه كان جاهلاً بعلوم رجال التصوف، كما قال البسطامي: «خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله». ومنهم من يعتقد أن الرسول محمداً ﷺ هو قبة الكون، وهو الله المستوي على العرش، وأن السماوات والأرض والعرش والكرسي وكل الكائنات خُلقت من نوره، وأنه أول موجود، وهذه عقيدة ابن عربي ومن تبعه. ومنهم من لا يعتقد ذلك بل يرده ويعتقد ببشريته ورسالته، ولكنهم مع ذلك يستشفعون ويتوسلون به، ﷺ، إلى الله تعالى على وجه يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة(*).

ـ وفي الأولياء(*) يعتقد الصوفية عقائد شتى؛ فمنهم من يفضِّل الولي على النبي(*)، ومنهم يجعلون الولي مساوياً لله في كل صفاته، فهو يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويتصرف في الكون. ولهم تقسيمات للولاية؛ فهناك الغوث، والأقطاب، والأبدال(*) والنجباء(*)، إذ يجتمعون في ديوان لهم في غار حراء كل ليلة ينظرون في المقادير. ومنهم من لا يعتقد ذلك، ولكنهم، أيضاً، يأخذونهم وسائط بينهم وبين ربهم في حياتهم أو بعد مماتهم.

وكل هذا بالطبع خلاف الولاية في الإسلام التي تقوم على الدين(*) والتقوى، وعمل الصالحات، والعبودية الكاملة لله والفقر إليه، وأن الولي لا يملك من أمر نفسه شيئاً، فضلاً عن أنه يملك لغيره، قال تعالى لرسوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١].

ـ يعتقدون أن الدين شريعة وحقيقة، والشريعة هي الظاهر من الدين وأنها الباب الذي يدخل منه الجميع، والحقيقة هي الباطن الذي لا يصل إليه إلا المصطفون الأخيار.

ـ التصوف في نظرهم طريقة وحقيقة معاً.

ـ لابد في التصوف من التأثير الروحي الذي لا يأتي إلا بواسطة الشيخ الذي أخذ الطريقة عن شيخه.

ـ لابد من الذكر والتأمل الروحي وتركيز الذهن في الملأ الأعلى، وأعلى الدرجات لديهم هي درجة الولي.

ـ يتحدث الصوفيون عن العلم اللَّدُنّي الذي يكون في نظرهم لأهل النبوة(*) والولاية(*)، كما كان ذلك للخضر عليه الصلاة والسلام، إذ أخبر الله تعالى عن ذلك فقال: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

ـ **الفناء**(*): يعد أبو يزيد البسطامي أول داعية في الإسلام إلى هذه الفكرة، وقد نقلها عن شيخه أبي علي السندي حيث الاستهلاك في الله بالكلية، وحيث يختفي نهائيًا عن شعور العبد بذاته ويفنى المشاهد فينسى نفسه وما سوى الله، ويقول القشيري: الاستهلاك بالكلية يكون «لمن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عيناً ولا أثراً ولا رسماً» (مقام جمع الجمع) وهو: «فناء العبد عن شهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق».

إن مقام الفناء حالة تتراوح فيها تصورات السالك بين قطبين متعارضين هما التنزيه(*) والتجريد من جهة والحلول(*) والتشبيه(*) من جهة أخرى.

● **درجات السلوك:**

ـ هناك فرق بين الصوفي والعابد والزاهد إذ إن لكل واحد منهم أسلوباً ومنهجاً وهدفاً.

وأول درجات السلوك حبُّ الله ورسوله، ودليله الاقتداء برسول الله ﷺ.

ثم الأسوة الحسنة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ثم التوبة: وذلك بالإقلاع عن المعصية، والندم على فعلها، والعزم على ألا يعود إليها، وإبراء صاحبها إن كانت تتعلق بآدمي.

ـ **المقامات**: «هي المنازل الروحية التي يمر بها السالك إلى الله فيقف فترة من الزمن مجاهداً في إطارها حتى ينتقل إلى المنزل الثاني» ولابد للانتقال من جهاد(*) وتزكية. وجعلوا

الحاجز بين المريد وبين الحق سبحانه وتعالى أربعة أشياء هي: المال، والجاه، والتقليد(*)، والمعصية.

ـ **الأحوال**: «إنها النسمات التي تهب على السالك فتنتعش بها نفسه لحظات خاطفة، ثم تمر تاركة عطراً تتشوق الروح للعودة إلى تنشُّم أريجه». قال الجنيد: «الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم».

والأحوال مواهب، والمقامات مكاسب، ويعبِّرون عن ذلك بقولهم: «الأحوال تأتي من عين الجود، والمقامات تحصل ببذل المجهود».

ـ **الورع**: أن يترك السالك كل ما فيه شبهة، ويكون هذا في الحديث والقلب والعمل.

ـ **الزهد**: وهو يعني أن تكون الدنيا على ظاهر يده، وقلبه معلق بما في يد الله. يقول أحدهم عن زاهد: «صدق فلان، قد غسل الله قلبه من الدنيا وجعلها في يده وعلى ظاهره». قد يكون الإنسان غنيًّا وزاهداً في الوقت ذاته إذ إن الزهد لا يعني الفقر، فليس كل فقير زاهداً، وليس كل زاهد فقيراً، والزهد على ثلاث درجات:

١ ـ ترك الحرام، وهو زهد العوام.

٢ ـ ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص.

٣ ـ ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى، وهو زهد العارفين.

ـ **التوكل**: يقولون: التوكل بداية، والتسليم واسطة، والتفويض نهاية إن كان للثقة في الله نهاية، ويقول سهل التستري: «التوكل: الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد».

ـ **المحبة**: يقول الحسن البصري (ت ١١٠هـ): «فعلامة المحبة الموافقة للمحبوب والتجاري مع طرقاته في كل الأمور، والتقرب إليه بكل صلة، والهرب من كل ما لا يعينه على مذهبه».

ـ **الرضا**: يقول أحدهم: «الرضا بالله الأعظم، هو أن يكون قلب العبد ساكناً تحت حكم الله عز وجل» ويقول آخر: «الرضا آخر المقامات، ثم يقتفي من بعد ذلك أحوال أرباب القلوب، ومطالعة الغيوب، وتهذيب الأسرار لصفاء الأذكار وحقائق الأحوال».

ـ **يطلقون الخيال** لفهم كتاب الله وسنة رسوله، ﷺ، حتى يصل السالك إلى اليقين وهو على ثلاث مراتب:

١ ـ علم اليقين: وهو يأتي عن طريق الدليل النقلي من آيات وأحاديث ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾. [التكاثر: ٥].

٢ ـ عين اليقين: وهو يأتي عن طريق المشاهدة والكشف(*): ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ

ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧].

٣ ـ حق اليقين: وهو ما يتحقق عن طريق الذوق: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٥، ٩٦].

ـ وأما في الحكم والسلطان والسياسة فإن المنهج(*) الصوفي هو عدم جواز مقاومة الشر ومغالبة السلاطين؛ لأن الله في زعمهم أقام العباد فيما أراد.

ـ ولعل أخطر ما في الشريعة الصوفية هو منهجهم في التربية، إذ يستحوذون على عقول الناس ويلغونها، وذلك بإدخالهم في طريق متدرج يبدأ بالتأنيس، ثم بالتهويل والتعظيم بشأن التصوف ورجاله، ثم بالتلبيس على الشخص، ثم الزج به إلى علوم التصوف شيئاً فشيئاً، ثم بالربط بالطريقة وسد جميع الطرق بعد ذلك للخروج.

● **مدارس الصوفية**:

ـ **مدرسة الزهد**: وأصحابها من النُّسَّاك والزُّهَّاد والعُبَّاد والبكَّائين، ومن أفرادها: رابعة العدوية، وإبراهيم بن أدهم، ومالك بن دينار.

ـ **مدرسة الكشف(*) والمعرفة**: وهي تقوم على اعتبار أن المنطق العقلي وحده لا يكفي في تحصيل المعرفة وإدراك حقائق الموجودات، إذ يتطور المرء بالرياضة النفسية حتى تنكشف عن بصيرته غشاوة الجهل وتبدو له الحقائق منطبقة في نفسه تتراءى فوق مرآة القلب، وزعيم هذه المدرسة: الإمام أبو حامد الغزالي.

ـ **مدرسة وحدة الوجود**: زعيم هذه المدرسة محيي الدين بن عربي: «وقد ثبت عن المحققين أنه ما في الوجود إلا الله، ونحن إن كنا موجودين فإنما كان وجودنا به، فما ظهر من الوجود بالوجود إلا الحق، فالوجود الحق وهو واحد، فليس ثم شيء هو له مثل؛ لأنه لا يصح أن يكون ثم وجودان مختلفان أو متماثلان».

ـ **مدرسة الاتحاد(*) والحلول(*)**: وزعيمها: الحلاج، ويظهر في هذه المدرسة التأثر بالتصوف الهندي والنصراني، إذ يتصور الصوفي عندها أن الله قد حل(*) فيه وأنه قد اتحد(*) هو بالله، فمن أقوالهم: «أنا الحق» و«ما في الجبة إلا الله» وما إلى ذلك من الشطحات التي تنطلق على ألسنتهم في لحظات السكر(*) بخمرة الشهود على ما يزعمون.

● **طرق الصوفية**:

ـ **الجيلانية**: تنسب إلى عبدالقادر الجيلاني (٤٧٠ ـ ٥٦١هـ) المدفون في بغداد، إذ تزوره كل عام جموع كثيرة من أتباعه للتبرُّك به، اطلع على كثير من علوم عصره، وقد نسب أتباعه إليه كثيراً من الكرامات(*)، على نحو ما ذكرنا من قبل.

وقد ساهمت طريقته في إقامة المراكز الإسلامية التي قامت بدور كبير في نشر الإسلام في أفريقيا، ووقفت حاجزاً منيعاً في وجه المد الأوربي الزاحف إلى المغرب العربي.

ـ **الرفاعية**: تنسب إلى أحمد الرفاعي (٥١٢ ـ ٥٨٠هـ) من بني رفاعة إحدى قبائل العرب، وجماعته يستخدمون السيوف، ودخول النيران في إثبات الكرامات. قال عنهم الشيخ الألوسي في **غاية الأماني في الرد على النبهاني**: «وأعظم الناس بلاء في هذا العصر على الدين(*) والدولة: مبتدعة الرفاعية، فلا تجد بدعة (*) إلا ومنهم مصدرها، وعنهم موردها ومأخذها، فذكرهم عبارة عن رقص وغناء والتجاء إلى غير الله، وعبادة مشايخهم، وأعمالهم عبارة عن مسك الحيات» ١/ ٣٧٠.

وتتفق الرفاعية مع الشيعة(*) في أمور عدة منها: إيمانهم بكتاب الجفر(*)، واعتقادهم في الأئمة الاثني عشر، وأن أحمد الرفاعي هو الإمام الثالث عشر، بالإضافة إلى مشاركتهم الحزن يوم عاشوراء، وغير ذلك.

هذا على الرغم مما ورد عن شيخ طريقتهم ـ الشيخ أحمد الرفاعي ـ من الحض الشديد على السنة واجتناب البدعة، ومنها قوله: «ما تهاون قوم بالسنة وأهملوا قمع البدعة إلا سلط الله عليهم العدو، وما انتصر قوم للسنة وقمعوا البدعة وأهلها إلا رزقهم هيبة من عنده ونصرهم وأصلح شأنهم».

وللرفاعية انتشار ملحوظ في غرب آسيا.

ـ **البدوية**: وتنسب إلى أحمد البدوي (٥٩٦ ـ ٦٣٤هـ) ولد بفاس، حج ورحل إلى العراق، واستقر في طنطا حتى وفاته، له فيها ضريح مقصود، إذ يقام له كغيره من أولياء الصوفية احتفال بمولده سنويًا يمارس فيه الكثير من البدع والانحرافات العقدية من دعاء واستغاثة وتبرك وتوسل مما يؤدي إلى الشرك المخرج من الملة. وأتباع طريقته منتشرون في بعض محافظات مصر، ولهم فيها فروع كالبيُّومية والشنَّاوية وأولاد نوح والشعبية، وشارتهم العمامة الحمراء.

ـ **الدسوقية**: تنسب إلى إبراهيم الدسوقي (٦٣٣ ـ ٦٧٦هـ) المدفون بمدينة دسوق في مصر، يدعي المتصوفة أنه أحد الأقطاب الأربعة الذين يرجع إليهم تدبير الأمور في هذا الكون.

ـ **الأكبرية**: نسبة إلى الشيخ محيي الدين بن عربي، وتقوم طريقته على عقيدة وحدة الوجود والصمت والعزلة والجوع والسهر، ولها ثلاث صفات: الصبر على البلاء، والشكر على الرخاء، والرضا بالقضاء.

ـ **الشاذلية**: نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي (٥٩٣ ـ ٦٥٦هـ) ولد بقرية عمارة قرب

مرسية في بلاد المغرب، وانتقل إلى تونس، وحج عدة مرات، ثم دخل العراق ومات أخيراً في صحراء عيذاب بصعيد مصر في طريقه إلى الحج، قيل عنه: «إنه سهّل الطريقة على الخليقة» لأن طريقته أسهل الطرق وأقربها؛ فليس فيها كثير مجاهدة، انتشرت طريقته في مصر واليمن وبلاد العرب، وأهل مدينة مخا يدينون له بالتقدير والاعتقاد العميق في ولايته، وانتشرت طريقته كذلك في مراكش وغرب الجزائر، وفي شمال أفريقيا وغربها بعامة.

ـ **البكداشية**: كان الأتراك العثمانيون ينتمون إلى هذه الطريقة، وهي لا تزال منتشرة في ألبانيا، كما أنها أقرب إلى التصوف الشيعي منها إلى التصوف السني، وقد كان لهذه الطريقة أثر بارز في نشر الإسلام بين الأتراك والمغول، وكان لها سلطان عظيم على الحكام العثمانيين ذاتهم.

ـ **المولوية**: أنشأها الشاعر الفارسي جلال الدين الرومي (ت ٦٧٢هـ) والمدفون بقونية، أصحابها يتميزون بإدخال الرقص والإيقاعات في حلقات الذكر، وقد انتشروا في تركيا وآسيا الغربية، ولم يبق لهم في الأيام الحاضرة إلا بعض التكايا في تركيا وفي حلب وفي بعض أقطار المشرق.

ـ **النقشبندية**: تنسب إلى الشيخ بهاء الدين محمد بن محمد البخاري الملقب بشاه نقشبند (٦١٨ ـ ٧٩١هـ) وهي طريقة سهلة كالشاذلية، انتشرت في فارس وبلاد الهند وآسيا الغربية.

ـ **الملامتية**: مؤسسها أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمار المعروف بالقصار (ت ٢٧١هـ) أباح بعضهم مخالفة النفس بغية جهادها ومحاربة نقائصها، وقد ظهر الغلاة منهم في تركيا حديثاً بمظهر الإباحية والاستهتار، وفعل كل أمر دون مراعاة للأوامر والنواهي الشرعية.

ـ وهناك طرق كثيرة غير هذه: كالقنائية، والقيروانية، والمرابطية، والبشبشية، والسنوسية، والمختارية، والختمية... وغيرها، ولا شك أن كل هذه الطرق طرق بدعية.

● **شطحات الصوفية**:

سلك بعضهم طريق تحضير الأرواح(*) معتقداً بأن ذلك من التصوف، كما سلك آخرون طريق الشعوذة والدجل، وقد اهتموا ببناء الأضرحة وقبور الأولياء(*) وإنارتها وزيارتها والتمسُّح بها، وكل ذلك من البدع(*) التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ـ يقول بعضهم بارتفاع التكاليف ـ إسقاط التكاليف(*) ـ عن الولي(*)؛ أي أن العبادة تصير لا لزوم لها بالنسبة إليه؛ لأنه وصل إلى مقام لا يحتاج معه إلى القيام بذلك؛ ولأنه لو

اشتغل بوظائف الشرع وظواهره انقطع عن حفظ الباطن وتشوش عليه بالالتفات عن أنواع الواردات الباطنية إلى مراعاة الظاهر.

ـ ويُنقل عن الغزالي انتقاده لمن غلبهم الغرور، ويعدِّد فرقهم:

١ ـ فرقة اغتروا بالزي والهيئة والمنطق(*).

٢ ـ وفرقة ادعت علم المعرفة، ومشاهدة الحق، ومجاوزة المقامات والأحوال.

٣ ـ وفرقة وقعت في الإباحة، وطووا بساط الشرع، ورفضوا الأحوال، وسووا بين الحلال والحرام.

٤ ـ وبعضهم يقول: الأعمال بالجوارح لا وزن لها، وإنما النظر إلى القلوب، وقلوبنا والهة بحب الله، وواصلة إلى معرفة الله، وإنما نخوض في الدنيا بأيدينا، وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية، فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب.

ـ ومذهب الوحدة المطلقة لم يكن له وجود في الإسلام بصورته الكاملة قبل ابن عربي، فهو الواضع لدعائمه والمؤسس لمدرسته والمفصل لمعانيه ومراميه، وله فصوص الحكم والفتوحات المكية وغيرهما.

ـ أما الحلاج فيعد صاحب مدرسة الاتحاد(*) والحلول(*)، وله أقوال منها:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بَدَنا
فإذا أبصرْتني أبصرتَه ... وإذا أبصرتَه أبصرْتنا

وقوله:

مزجت روحك في روحي كما ... تمزج الخمرة في الماء الزلال
فإذا مسَّك شيء مسني ... فإذا أنت أنا في كل حال

ـ يستخدم الصوفيون لفظ (الغوث والغياث) وقد أفتى ابن تيمية كما جاء في كتاب **مجموع الفتاوى** ص ٤٣٧: «فأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقه إلا الله، فهو غوث المستغيثين، فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره لا بملك مقرب ولا نبي مرسل».

ـ لقد أجمعت كل طرق الصوفية على ضرورة الذكر، وهو عند النقشبندية لفظ الله مفرداً، وعند الشاذلية لا إله إلا الله، وعند غيرهم مثل ذلك مع الاستغفار والصلاة على النبي، وبعضهم يقول عند اشتداد الذكر: هو هو، بلفظ الضمير. وفي ذلك يقول ابن تيمية في كتاب **مجموع الفتاوى** ص ٢٢٩: «وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فلا أصل له، فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين، بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات، وذريعة إلى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد».

ويقول في ص ٢٢٨، أيضاً: «من قال: يا هو يا هو، أو هو هو، ونحو ذلك، لم يكن الضمير عائداً إلا إلى ما يصوره القلب، والقلب قد يهتدي وقد يضل».

ـ قد يأتي بعض المنتسبين إلى التصوف بأعمال عجيبة وخوارق، وفي ذلك يقول ابن تيمية ص ٤٩٤: «وأما كشف الرؤوس، وتفتيل الشعر، وحمل الحيات؛ فليس هذا من شعار أحد من الصالحين، ولا من الصحابة، ولا من التابعين، ولا شيوخ المسلمين، ولا من المتقدمين، ولا من المتأخرين، ولا الشيخ أحمد بن الرفاعي، وإنما ابتُدع هذا بعد موت الشيخ بمدة طويلة».

ـ ويقول، أيضاً، في ص ٥٠٤: «وأما النذر للموتى من الأنبياء(*) والمشايخ وغيرهم أو لقبورهم أو المقيمين عند قبورهم فهو نذرُ شركٍ ومعصية لله تعالى».

ـ وفي ص ٥٠٦ من الكتاب نفسه: «وأما الحلف بغير الله من الملائكة والأنبياء والمشايخ والملوك وغيرهم فإنه منهي عنه».

ـ ويقول في ص ٥٠٥ من الكتاب نفسه أيضاً: «وأما مؤاخاة الرجال والنساء الأجانب، وخلوتهم بهن، ونظرهم إلى الزينة الباطنة، فهذا حرام باتفاق المسلمين، ومن جعل ذلك من الدين فهو من إخوان الشياطين».

ـ في مقام الفناء(*) عن شهود ما سوى الرب ـ وهو الفناء عن الإرادة ـ يقول ابن تيمية ص ٣٣٧ من كتابه: «وفي هذا الفناء قد يقول: أنا الحق، أو سبحاني، أو ما في الجبة إلا الله، إذا فنى بمشهوده عن شهوده، وبموجوده عن وجوده، وفي مثل هذا المقام يقع السكر(*) الذي يسقط التمييز مع وجود حلاوة الإيمان كما يحصل بسكر الخمر وسكر عشق الصور. ويُحكم على هؤلاء أن أحدهم إذا زال عقله بسبب غير محرم فلا جناح عليه فيما يصدر عنه من الأقوال والأفعال المحرمة، بخلاف ما إذا كان سبب زوال العقل أمراً محرماً. وكما أنه لا جناح عليهم فلا يجوز الاقتداء بهم ولا حمل كلامهم وفعالهم على الصحة، بل هم في الخاصة مثل الغافل والمجنون في التكاليف الظاهرة».

ـ أما في مقام الفناء(*) عن وجود السوي فيقول ص ٣٣٧ من الكتاب أيضاً: «الثالث: فناء عن وجود السوى، بمعنى أنه يرى أن الله هو الوجود وأنه لا وجود لسواه، لا به ولا بغيره، وهذا القول للاتحادية الزنادقة(*) من المتأخرين كالبلياني والتلمساني والقونوي ونحوهم، الذين يجعلون الحقيقة أنه عين الموجودات وحقيقة الكائنات، وأنه لا وجود لغيره، لا بمعنى أن قيام الأشياء به ووجودها به لكنهم يريدون أنه عين الموجودات، فهذا كفر(*) وضلال».

● **تجاوزات بعض المنتسبين إلى الصوفية في الوقت الحاضر:**

ـ من أبرز المظاهر الشركية التي تؤخذ على الصوفية ما يلي:

١ ـ الغلو(*) في الرسول.

٢ ـ الحلول(*) والاتحاد(*).

٣ ـ وحدة الوجود.

٤ ـ الغلو في الأولياء.

٥ ـ الادعاءات الكثيرة الكاذبة، كادعائهم عدم انقطاع الوحي(*) وما لهم من المميزات في الدنيا والآخرة.

٦ ـ ادعاؤهم الانشغال بذكر الله عن التعاون لتحكيم شرع الله(*) والجهاد(*) في سبيله، مع ما كان لبعضهم من مواقف طيبة ضد الاستعمار مثل الأمير عبدالقادر الجزائري.

٧ ـ كثيراً ما يتساهل بعض المحسوبين على التصوف في التزام أحكام الشرع.

٨ ـ طاعة المشايخ والخضوع لهم، والاعتراف بذنوبهم بين أيديهم، والتمسح بأضرحتهم بعد مماتهم.

٩ ـ تجاوزات كثيرة ما أنزل الله بها من سلطان، في هيئة ما يسمونه الذكر، وهو هزّ البدن والتمايل يميناً وشمالاً، وذكر كلمة الله في كل مرة مجرَّدة، والادعاء بأن المشايخ مكشوفٌ عن بصيرتهم، ويتوسلون بهم لقضاء حوائجهم، ودعاؤهم بمقامهم عند الله في حياتهم وبعد مماتهم.

الجذور الفكرية والعقائدية:

ـ إن المجاهدات الصوفية إنما ترجع إلى زمن سحيق في القدم من وقت أن شعر الإنسان بحاجة إلى رياضة نفسه ومغالبة أهوائه.

ـ لا شك أن ما يدعو إليه الصوفية من الزهد، والورع والتوبة والرضا... إنما هي أمور من الإسلام، وأن الإسلام يحثُّ على التمسك بها والعمل من أجلها، ولكن الصوفية في ذلك يخالفون ما دعا إليه الإسلام، إذ ابتدعوا مفاهيم وسلوكيات لهذه المصطلحات(*) مخالفة لما كان عليه الرسول(*)، ﷺ، وصحابته.

لكن الذي وصل إليه بعضهم من الحلول(*) والاتحاد(*) والفناء(*)، وسلوك طريق المجاهدات الصعبة، إنما انحدرت هذه الأمور إليهم من مصادر دخيلة على الإسلام كالهندوسية والجينية والبوذية والأفلاطونية والزرادشتية والمسيحية(*). وقد عبر عن ذلك كثير من الدارسين للتصوف منهم:

ـ المستشرق ميركس، يرى أن التصوف إنما جاء من رهبانية(*) الشام.

ـ المستشرق جونس، يرده إلى فيدا الهنود.

ـ نيكولسون، يقول بأنه وليدٌ لاتحاد الفكر اليوناني والديانات(*) الشرقية، أو بعبارة أدق: وليد لاتحاد الفلسفة(*) الأفلاطونية الحديثة والديانات المسيحية والمذهب(*) الغنوصي(*).

ـ إن السقوط في دائرة العدمية بإسقاط التكاليف(*) وتجاوز الأمور الشرعية إنما هو أمر عرفته البرهمية، إذ يقول البرهمي: «حيث أكون متحداً مع برهماً لا أكون مكلفاً بعمل أو فريضة».

ـ قول الحلاج في الحلول، وقول ابن عربي في الإنسان الكامل يوافق مذهب النصارى في عيسى عليه السلام.

ـ لقد فتح التصوفُ المنحرفُ باباً واسعاً دخل منه كثير من الشرور على المسلمين مثل التواكل، والسلبية، وإلغاء شخصية الإنسان، وتعظيم شخصية الشيخ، فضلاً عن كثير من الضلالات والبدع(*) التي تُخرج صاحبها من الإسلام.

الانتشار ومواقع النفوذ:

لقد عملت الطرق الصوفية على نشر الإسلام في كثير من الأماكن التي لم تفتحها الجيوش، وذلك بما لديهم من تأثير روحي يسمونه (الجذب)؛ مثل إندونيسيا ومعظم أفريقيا وغيرها من الأقطار النائية.

انتشر التصوف على مدار الزمان وشمل معظم العالم الإسلامي، وقد نشأت فرقهم وتوسعت في مصر والعراق وشمال غرب أفريقيا، وفي غرب ووسط وشرق آسيا.

لقد تركوا أثراً مهماً في الشعر والنثر والموسيقى وفنون الغناء والإنشاد، وكانت لهم آثار في إنشاء الزوايا والتكايا.

لقد كان للروحانية الصوفية أثر في جذب الغربيين الماديين إلى الإسلام، ومن أولئك مارتن لنجز الذي يقول: «إنني أوربي وقد وجدت خلاص روحي ونجاتها في التصوف». على أن اهتمام الغربيين ومراكز الاستشراق في الجامعات الغربية والشرقية بالتصوف يدعو إلى الريبة، فبالإضافة إلى انجذاب الغربيين إلى روحانية التصوف وإعجابهم بالمادة الغزيرة التي كتبت عن التصوف شرحاً وتنظيراً، فإن هناك أسباباً أخرى لاهتمام المستشرقين والمؤسسات الأكاديمية والغربيين بصفة عامة بالتصوف، من هذه الأسباب:

ـ إبراز الجانب السلبي الاستسلامي الموجود في التصوف وتصويره على اعتبار أنه

الإسلام.

ـ موافقة التصوف للرهبانية(*) المسيحية(*) واعتباره امتداداً لهذا التوجه.

ـ ميل منحرفي المتصوفة إلى قبول الأديان(*) جميعاً، واعتبارها وسيلة للتربية الروحية، وقد وُجِد في الغرب من يعتبر نفسه متصوفاً، ويستعمل المصطلحات(*) وبعض السلوكيات الإسلامية دون أن يكون مسلماً، وذلك من بين أتباع اليهودية والمسيحية والبوذية وغيرها من الأديان.

ـ تجسيم الصراع بين فقهاء الإسلام ومنحرفي المتصوفة على أنها هي السمة الغالبة في العقيدة والفقه الإسلاميين.

ـ تراجعت الصوفية وذلك ابتداءً من نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ولم يعد لها ذلك السلطان الذي كان لها فيما قبل، وذلك بالرغم من دعم بعض الدول الإسلامية للتصوف كعامل مُثبِّط لتطلعات المسلمين في تطبيق الإسلام الشمولي.

ويتضح مما سبق:

أن التصوف عبر تاريخه الطويل هو انحرافٌ عن منهج(*) الزهد الذي يحضّ الإسلام سلوكَ سبيله والمقترن بالعلم والعمل والجهاد(*) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونفع الأمة ونشر الدين(*). ولذا رفضه الرسول(*) الكريم من بعض أصحابه، ثم زاد هذا الانحراف عندما اختلط التصوف بالفلسفات(*) الهندية واليونانية والرهبانية(*) النصرانية في العصور المتأخرة، وتفاقم الأمر عندما أصبحت الصوفية تجارة للمشعوذين والدجالين ممن قلت بضاعتهم في العلم وقصر سعيهم عن الكسب الحلال. وقد أدرك أعداء الإسلام ذلك فحاولوا أن يُشوِّهوا الإسلام من الداخل من خلال التصوف، ويقضوا على صفاء عقيدة التوحيد التي يمتاز بها الإسلام، ويجعلوا المسلمين يركنون إلى السلبية حتى لا تقوم لهم قائمة.

مراجع للتوسع

١ ـ **التصوف الإسلامي**، أحمد توفيق عياد، الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م.

٢ ـ **المنقذ من الضلال** لحجة الإسلام الغزالي، مع أبحاث في التصوف، د. عبدالحليم محمود، مطبعة حسان، القاهرة.

٣ ـ **مجموع فتاوى ابن تيمية**، المجلد ١١ عن التصوف، والمجلد ١٠ عن السلوك، طبعة ١٣٩٨هـ.

٤ ـ **الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا**، د. حسن عيسى عبدالظاهر، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٥ ـ **نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها**، د. عرفان عبدالحميد فتاح، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٦ ـ **في التصوف الإسلامي وتاريخه**، أبو العلا عفيفي.

٧ ـ **الصوفية الإسلامية**، نيكلسون، ترجمة شريبة.

٨ ـ **إحياء علوم الدين**، للإمام الغزالي، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧م.

٩ ـ **الفتوحات المكية**، للشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن عربي، بيروت، دار صادر، بلا تاريخ.

١٠ ـ **كتاب الطواسين** للحلاج، نشره لويس ماسنيون، باريس ١٩١٣م.

١١ ـ **أخبار الحلاج**، نشره لو. م سيراب، نوينسام س ش.

١٢ ـ **ديوان الحلاج**، نشره لويس ماسنيون، باريس ١٩٣١م.

١٣ ـ **كتاب اللمع**، لأبي نصر السراج الطوسي، تحقيق د. عبدالحليم محمود، وطه عبدالباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر ١٩٦٠م.

١٤ ـ **الرسالة القشيرية**، لأبي القاسم عبدالكريم بن هوازن، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة ١٩٥٧م.

١٥ ـ **في التصوف الإسلامي وتاريخه**، أرنولد رينولدز نيكلسون، مجموع مقالات ترجمها الدكتور أبو العلا عفيفي، القاهرة ١٩٤٧م.

١٦ ـ **المذاهب الصوفية ومدارسها**، عبدالحكيم عبدالغني قاسم.

١٧ ـ **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة**، عبدالرحمن عبدالخالق.

١٨ ـ **المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، عرضاً ونقداً**، صادق سليم صادق.

١٩ ـ **أبو حامد الغزالي والتصوف**، عبدالرحمن دمشقية.

٢٠ ـ **دراسات حول التصوف**، إحسان إلهي ظهير.

٢١ ـ **الصوفية**، محمد العبدة، طارق عبدالحليم.

٢٢ ـ **المذاهب والأفكار في التصور الإسلامي**، محمد الحسن.

٢٣ ـ **دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة**، عبدالله الأمين.

٢٤ ـ **التصوف والأدب**، زكي مبارك، د. عبدالرحمن بدوي.

٢٥ ـ **تاريخ التصوف**، د. عبدالرحمن بدوي.

مراجع للتوسع:

- **الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، إحسان إلهي ظهير.
- **مشكاة الأنوار**، يحيى بن حمزة العلوي.
- **فضائح الباطنية**، لأبي حامد الغزالي.
- **الحشاشون**، تأليف برنارد لويس وتعريب محمد العزب موسى، دار المشرق العربي الكبير، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- **طائفة الإسماعيلية: تاريخها، نظمها، عقائدها**، د. محمد كامل حسين.
- **إسلام بلا مذاهب**، د. مصطفى الشكعة.
- **أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية**، برنارد لويس.

٤٨ـ البابيـة والبهائيـة

التعريف:

البابية والبهائية حركة(*) نبعت من المذهب(*) الشيعي الشيخي(*) سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م تحت رعاية الاستعمار(*) الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● **أسسها الميرزا علي محمد رضا الشيرازي** ١٢٣٥ـ١٢٦٦هـ (١٨١٩ـ١٨٥٠م)، ففي السادسة من عمره تلقى تعليمه الأولي على يد دعاة الشيخية(*) من الشيعة(*) ثم انقطع عن الدراسة ومارس التجارة.

- وفي السابعة عشر من عمره عاد للدراسة واشتغل بدراسة كتب الصوفية والرياضة الروحانية وخاصة كتب الحروفيين وممارسة الأعمال الباطنية(*) المتعبة.

- في عام ١٢٥٩هـ ذهب إلى بغداد وبدأ يرتاد مجلس إمام الشيخية في زمانه كاظم الرشتي، ويدرس أفكاره وآراء الشيخية. وفي مجالس الرشتي تعرف عليه الجاسوس الروسي كينازد الغوركي، والمدعي الإسلام باسم عيسى النكراني، والذي بدأ يلقي في روعهم أن الميرزا علي محمد الشيرازي هو المهدي المنتظر، والباب الموصل إلى الحقيقة الإلهية والذي سيظهر بعد وفاة الرشتي، وذلك لما وجده مؤهلاً لتحقيق خطته في تمزيق وحدة المسلمين.

- في ليلة الخميس ٥ جمادى الأولى ١٢٦٠هـ ـ ٢٣ مارس ١٨٤٤م أعلن أنه الباب نسبة إلى ما يعتقده الشيعة الشيخية من ظهوره بعد وفاة الرشتي المتوفى ١٢٥٩هـ، وأنه رسول(*) كموسى وعيسى ومحمد ـ عليهم السلام ـ بل وعياذاً بالله ـ أفضل منهم شأناً.

- فآمن به تلاميذ الرشتي وانخدع به العامة، واختار ثمانية عشر مبشراً لدعوته أطلق عليهم حروف الحي إلا أنه في عام ١٢٦١هـ قبض عليه فأعلن توبته على منبر مسجد الوكيل بعد أن عاث وأتباعه في الأرض فساداً وتقتيلاً وتكفيراً للمسلمين.

ـ في عام ١٢٦٦هـ ادعى الباب حلول الإلهية في شخصه حلولاً ماديًا وجسمانيًا؛ لكن بعد أن ناقشه العلماء حاول التظاهر بالتوبة والرجوع، ولم يصدقوه فقد عرف بالجبن والتنصل عند المواجهة. وحكم عليه بالإعدام هو والزنوزي وكاتب وحيه حسين اليزدي الذي تاب وتبرأ من البابية قبل الإعدام فأفرج عنه وذلك في ٢٧ شعبان سنة ١٢٦٦هـ ٨ يوليو ١٨٥٠م.

● قرة العين واسمها الحقيقي أم سلمى ولدت في قزوين سنة ١٢٣١هـ أو ١٢٣٣هـ أو ١٢٣٥هـ للملا محمد صالح القزويني أحد علماء الشيعة ودرست عليه العلوم، ومالت إلى الشيخية(*) بواسطة عمها الأصغر الملا علي الشيخي، وتأثرت بأفكارهم ومعتقداتهم، ثم رافقت الباب في الدراسة عند كاظم الرشتي بكربلاء حتى قيل إنها مهندسة أفكاره إذ كانت خطيبة مؤثرة، أديبة فصيحة اللسان فضلاً عن أنها جميلة جذابة، إلا أنها إباحية فاجرة طلقها زوجها وتبرأ منها أولادها. كانت تلقب بـ زرين تاج ـ صاحبة الشعر الذهبي ـ بالفارسية ـ.

ـ في رجب ١٢٦٤هـ اجتمعت مع زعماء البابية في مؤتمر بيدشت وكانت خطيبة القوم ومحرضة الأتباع على الخروج في مظاهرات احتجاج على اعتقال الباب، وفيه أعلنت نسخ الشريعة الإسلامية(*).

ـ اشتركت في مؤامرة قتل الشاه ناصر الدين القاجاري، فقبض عليها وحكم بأن تحرق حية، ولكن الجلاد خنقها قبل أن تحرق في أول ذي القعدة ١٢٦٨هـ الموافق ١٨٥٢م.

● **الميرزا يحيىٰ علي**: أخو البهاء والملقب بصبح أزل، أوصى له الباب بخلافته وسمى أصحابه بالأزليين فنازعه أخوه الميرزا حسين البهاء في الخلافة ثم في الرسالة والإلهية وحاول كل منهما دس السم لأخيه. ولشدة الخلافات بينهم وبين الشيعة تم نفيهم إلى أدرنة بتركيا في عام ١٨٦٣م، حيث كان يعيش اليهود، ولاستمرار الخلافات بين أتباع صبح أزل وأتباع البهاء نفى السلطان العثماني البهاء وأتباعه مع بعض أتباع أخيه إلى عكا ونفى صبح أزل مع أتباعه إلى قبرص حتى مات ودفن بها في ٢٩ إبريل ١٩١٢م صباحاً عن عمر يناهز ٨٢ عاماً مخلفاً كتاباً أسماه **الألواح** ـ تكملة البيان بالفارسي ـ **والمستيقظ** ناسخ **البيان** وأوصى بالخلافة لابنه الذي تَنَصّر وانفض من حوله الأتباع.

● **الميرزا حسين علي الملقب بهاء الله المولود** ١٨١٧م نازع أخاه خلافة الباب وأعلن في بغداد أمام مريديه أنه المظهر الكامل الذي أشار إليه الباب وأنه رسول(*) الله

الذي حلّت فيه الروح الإلهية لتنهي العمل الذي بشر به الباب، وأن دعوته هي المرحلة الثانية في الدورة العقائدية.

ـ حاول قتل أخيه صبح أزل، وكان على علاقة باليهود في أدرنة بسالونيك في تركيا، والتي يطلق عليها البهائيون أرض السر التي أرسل منها إلى عكا، فقتل من أتباع أخيه صبح أزل الكثير. وفي عام ١٨٩٢م قتله بعض الأزليين ودفن بالبهجة بعكا وله **الأقدس** الذي نسخ به **البيان والإيقان**، وكانت كتبه تدعو للتجمع الصهيوني على أرض فلسطين.

● **عباس أفندي**: **الملقب بـ عبد البهاء** ولد في ٢٣ مايو ١٨٤٤م يوم إعلان دعوة الباب نفسه، أوصى له والده البهاء بخلافته فكان ذا شخصية جادة لدرجة أن معظم المؤرخين يقولون بأنه: لولا العباس لما قامت للبابية والبهائية قائمة، ويعتقد البهائيون أنه معصوم غير مشرع، وكان يضفي على والده صفة الربوبية القادرة على الخلق.

ـ زار سويسرا وحضر مؤتمرات الصهيونية ومنها مؤتمر بال ١٩١١م، وحاول تكوين طابور خامس وسط العرب لتأييد الصهيونية، كما استقبل الجنرال أللنبي لما أتى إلى فلسطين بالترحاب لدرجة أن كرمته بريطانيا بمنحه لقب سير فضلاً عن أرفع الأوسمة الأخرى.

ـ زار لندن وأمريكا وألمانيا والمجر والنمسا والإسكندرية للخروج بالدعوة من حيز الكيان الإسلامي، فأسس في شيكاغو أكبر محفل للبهائية، رحل إلى حيفا ١٩١٣م ثم إلى القاهرة، إذ هلك بها في ١٩٢١م/ ١٣٤٠هـ بعد أن نسخ بعض تعاليم أبيه وأضاف إليها من العهد القديم(*) ما يؤيد أقواله.

● **شوقي أفندي**: خلف جده عبد البهاء وهو ابن الرابعة والعشرين من العمر في عام ١٩٢١م/ ١٣٤٠هـ وسار على نهجه في إعداد الجماعات البهائية في العالم لانتخاب بيت العدالة الدولي، ومات بلندن بأزمة قلبية ودفن بها في أرض قدمتها الحكومة البريطانية هدية للطائفة البهائية.

● في عام ١٩٦٣م تولى تسعة من البهائيين شؤون البهائية بتأسيس بيت العدالة الدولي من تسعة أعضاء أربعة من أمريكا، واثنان من إنجلترا وثلاثة من إيران وذلك برئاسة فرناندو سانت، ثم تولى رئاستها من بعده اليهودي الصهيوني ميسون الأمريكي الجنسية.

الأفكار والمعتقدات:

- يعتقد البهائيون أن الباب هو الذي خلق كل شيء بكلمته وهو المبدأ الذي ظهرت عنه جمع الأشياء.
- يقولون بالحلول(*) والاتحاد(*) والتناسخ(*) وخلود الكائنات، وأن الثواب والعقاب إنما يكونان للأرواح فقط على وجه يشبه الخيال.
- يقدسون العدد ١٩، ويجعلون عدد الشهور ١٩ شهراً وعدد أيام الشهر ١٩ يوماً. وقد تابعهم في هذا الهراء المدعو محمد رشاد خليفة حين ادَّعى قدسية خاصة للرقم ١٩، وحاول إثبات أن القرآن الكريم قائم في نظمه من حيث عدد الكلمات والحروف على ١٩، ولكن كلامه ساقط بكل المقاييس.
- يقولون بنبوة بوذا(*) وكنفوشيوس وبراهما(*) وزاردشت وأمثالهم من حكماء الهند والصين والفرس الأول.
- يوافقون اليهود والنصارى في القول بصلب المسيح(*).
- يؤولون القرآن تأويلات باطنية(*) ليتوافق مع مذهبهم.
- ينكرون معجزات الأنبياء(*) وحقيقة الملائكة والجن، كما ينكرون الجنة والنار.
- يحرمون الحجاب على المرأة، ويحللون المتعة، وشيوعية النساء والأموال.
- يقولون إن دين(*) الباب ناسخ لشريعة محمد، ﷺ.
- يؤولون القيامة بظهور البهاء، أما قبلتهم فهي إلى البهجة بعكا بفلسطين بدلاً من المسجد الحرام.
- والصلاة تؤدى في تسع ركعات ثلاث مرات والوضوء بماء الورد، وإن لم يوجد فالبسملة بسم الله الأطهر خمس مرات.
- لا توجد صلاة الجماعة إلا في الصلاة على الميت، وهي ست تكبيرات يقول كل تكبيرة «الله أبهى».
- الصيام عندهم في الشهر التاسع عشر شهر العلا فيجب فيه الامتناع عن تناول الطعام من الشروق إلى الغروب مدة تسعة عشر يوماً «شهر بهائي» ويكون آخرها عيد النيروز ٢١ آذار، وذلك من سن ١١ إلى ٤٢ فقط بعدها يعفى البهائيون من الصيام.
- تحريم الجهاد(*) وحمل السلاح وإشهاره ضد الأعداء خدمة للمصالح الاستعمارية.

- ينكرون أن محمداً خاتم النبيين، مدعين استمرار الوحي(*) وقد وضعوا كتباً معارضة للقرآن الكريم مليئة بالأخطاء اللغوية والركاكة في الأسلوب.
- يبطلون الحج إلى مكة وحجهم حيث دفن بهاء الله في البهجة بعكا بفلسطين.

الجذور الفكرية والعقائدية:

- الرافضة(*) الإمامية.
- الشيخية(*) أتباع الشيخ أحمد الإحسائي.
- الماسونية العالمية.
- الصهيونية العالمية.

الانتشار ومواقع النفوذ:

- تقطن الغالبية العظمى من البهائيين في إيران وقليل منهم في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين المحتلة حيث مقرهم الرئيسي، وكذلك لهم وجود في مصر حيث أغلقت محافلهم بقرار جمهوري رقم ٢٦٣ لسنة ١٩٦٠م، كما أن لهم عدة محافل مركزية في أفريقيا بأديس أبابا وفي الحبشة وكمبالا بأوغندا ولوساكا بزامبيا التي عقد فيها مؤتمرهم السنوي في الفترة من ٢٣ مايو حتى ١٣ يونيو ١٩٨٩م، وجوهانسبرج بجنوب أفريقيا وكذلك المحفل الملى بكراتشي بباكستان. ولهم، أيضاً، حضور في الدول الغربية، فلهم في لندن وفيينا وفرانكفورت محافل، وكذلك بسيدني في أستراليا ويوجد في شيكاغو بالولايات المتحدة أكبر معبد لهم، وهو ما يطلق عليه مشرق الأذكار، ومنه تصدر مجلة **نجم الغرب**، وكذلك في ويلمنت النويز «المركز الأمريكي للعقيدة البهائية»، وفي نيويورك لهم قافلة الشرق والغرب، وهي حركة شبابية قامت على المبادىء البهائية، ولهم كتاب **دليل القافلة وأصدقاء العلم**. ولهم تجمعات كبيرة في هيوستن ولوس أنجلوس وبيركلين بنيويورك، إذ يقدر عدد البهائيين بالولايات المتحدة بحوالي مليوني بهائي ينتسبون إلى ٦٠٠ جمعية. ومن العجيب أن لهذه الطائفة ممثلاً في الأمم المتحدة(*) في نيويورك فيكتور دي أرخو، ولهم ممثل في مقر الأمم المتحدة بجنيف[1] ونيروبي، وممثل خاص لأفريقيا، وكذلك عضو استشاري في

(١) اسمه أنطوان بلانكا المدير العام للمقر الأوروبي للأمم المتحدة، وأخيراً عينه الأمين العام للأمم المتحدة بطرس غالي ليكون الأمين العام للمؤتمر العالمي لحقوق الإنسان ـ فيينا ـ ٩٣ ـ ولذا قام بعقد اجتماع تحضيري في المؤسسة الرئيسة للطائفة البهائية في سويسرا، أكاديمية لانديغ.

المجلس الاجتماعي والاقتصادي للأمم المتحدة أيكوسكو Ecosco ، وكذلك في برنامج البيئة للأمم المتحدة Unep ، وفي اليونيسيف Unicef، وكذلك بمكتب الأمم المتحدة للمعلومات U.N. office of public information، ودزي بوس ممثل الجماعات البهائية الدولية لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة، ورستم خيروف الذي ينتمي إلى المؤسسة الدولية لبقاء الإنسانية.

ويتضح مما سبق:

أن البابية والبهائية من الفئات الضالة الخارجة عن الإسلام بحكم إنكارهم أن رسول الله، ﷺ، هو خاتم الأنبياء(*) والمرسلين، وادعائهم بأن روح الله، عز وجل، حلت في الباب أو البهاء، وإنكارهم للعقوبات الإلهية وموالاتهم المستمرة لليهود وسعيهم الدائب لتهويد المسلمين، وإعلانهم أن كتابهم **البيان** قد نسخ القرآن الكريم.

وقد صدرت الفتاوى من المجامع العلمية مثل مجمع الفقه الإسلامي بمكة ودار الإفتاء المصرية بخروج البهائية والبابية عن شريعة الإسلام، واعتبارها حرباً عليه، وبكفر(*) أتباعهما كفراً بواحاً سافراً لا تأويل فيه. (جريدة المدينة - الأحد ٢/ ١١/ ١٣٩٩هـ ٢٣ سبتمبر ١٩٧٩م).

مراجع للتوسع:

● **كتب ورسائل للبابيين والبهائيين:**

- **مجلة نجم الغرب** - تصدر من المحفل البهائي «مشرق الأذكار» شيكاغو.
- **جريدة الأخبار آلامرية** - لسان المحفل البهائي العالمي - بفلسطين المحتلة.
- **البيان الفارسي** - طبع في إيران والهند.
- **البيان العربي** - طبع في الهند والعراق.
- **الإيقان** - للبهاء - طبع في المحفل الملي بكراتشي - موجود نسخة بمكتبة باريس ولندن.
- **بهاء يا إلهي نسائم الرحمن** - المحفل الروحاني المركزي البهائي بشمال أفريقيا.
- **مذكرات دلغوركي** - صحيفة الشرق الروسية ١٩٢٥م.
- **الفرائد - لأبي الفضائل الجرفادقاني** - مطبعة أمين هندية القاهرة، وأعيد طبعه بالمحفل الملي بكراتشي باكستان.
- **الحجج البهية** - مطبعة السعادة القاهرة ١٩٢٥م - وأعيد طبعه في المحفل الروحاني

للبهائية بشمال شرق أفريقيا.

- **مختصر المبادىء الإلهية** - المحفل الروحاني المركزي البهائي في شمال شرق أفريقيا.
- **الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البابية والبهائية** - مؤرخ البهائية ميرزا عبد الحسين إداره القاهرة ١٩٢٤م.
- **خطب عبد البهاء** في أوربا وأمريكا - المحفل الروحاني المركزي للبهائية بشمال شرق أفريقيا - أديس أبابا - الحبشة.
- **دائرة المعارف** للبستاني - طبع في طهران.
- **مقالة سائح في البابية والبهائية** لعبد البهاء - مطبعة السعادة القاهرة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م.
- **الألواح المباركة** - للبهاء - مطبعة السعادة القاهرة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م.

● **كتب ورسائل لغير البابيين والبهائيين:**

- **مختصر التحفة الاثني عشرية** - للسيد محمود شكري الألوسي.
- **خفايا الطائفة البهائية**[1] - الدكتور محمد أحمد عوف - مطبعة دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٢م.
- **البابية عرض ونقد** - إحسان إلهي ظهير.
- **البهائية أضواء وحقائق** - إحسان إلهي ظهير.
- **هذه هي البهائية** - إصدار رابطة العالم الإسلامي.
- **البابيون والبهائيون ماضيهم وحاضرهم** - عبد الرازق الحسين.
- **البهائية تاريخها وعقيدتها** - عبد الرحمن الوكيل.
- **البيانات** أبو الأعلى المودودي.

(١) به ملحق لنص كتابي **البيان والأقدس** باللغة العربية.

٤٩ـ القاديانية

التعريف:

القاديانية حركة(*) نشأت سنة ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار(*) الإنجليزي في القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد(*) بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة **الأديان** التي تصدر باللغة الإنجليزية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

● كان مرزا غلام أحمد القادياني ١٨٣٩ ـ ١٩٠٨م أداة التنفيذ الأساسية لإيجاد القاديانية. وقد ولد في قرية قاديان من بنجاب في الهند عام ١٨٣٩م، وكان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين(*) والوطن، وهكذا نشأ غلام أحمد وفيا للاستعمار مطيعاً له في كل حال، فاختير لدور المتنبىء حتى يلتف حوله المسلمون وينشغلوا به عن جهادهم للاستعمار الإنجليزي. وكان للحكومة البريطانية إحسانات كثيرة عليهم، فأظهروا الولاء لها، وكان غلام أحمد معروفا عند أتباعه باختلال المزاج وكثرة الأمراض وإدمان المخدرات.

ـ وممن تصدى له ولدعوته الخبيثة، الشيخ أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري أمير جمعية أهل الحديث في عموم الهند، إذ ناظره وأفحم حجته، وكشف خبث طويته، وكفر(*) وانحراف نحلته. ولما لم يرجع غلام أحمد إلى رشده باهله الشيخ أبو الوفاء على أن يموت الكاذب منهما في حياة الصادق، ولم تمر سوى أيام قلائل حتى هلك المرزا غلام أحمد القادياني في عام ١٩٠٨م مخلفاً أكثر من خمسين كتابا ونشرة ومقالا، ومن أهم كتبه: **إزالة الأوهام، إعجاز أحمدي، براهين أحمدية، أنوار الإسلام، إعجاز المسيح، التبليغ، تجليات إلهية**.

● نور الدين: الخليفة الأول للقاديانية، وضع الإنجليز تاج الخلافة على رأسه فتبعه المريدون. من مؤلفاته: **فصل الخطاب**.

● محمد علي وخوجه كمال الدين: أميرا القاديانية اللاهورية، وهما مُنَظّرا القاديانية وقد قدّم الأول ترجمة محرفة للقرآن الكريم إلى الإنجليزية ومن مؤلفاته: **حقيقة الاختلاف، النبوة في الإسلام، والدين الإسلامي**. أما الخوجة كمال الدين فله كتاب **المثل الأعلى في**

الأنبياء وغيره من الكتب، وجماعة لاهور هذه الأحمدية تنظر إلى غلام أحمد ميرزا على أنه مجدد فحسب، ولكنهما يعدان حركة(*) واحدة تستوعب الأولى ما ضاقت به الثانية وبالعكس.

● محمد علي: أمير القاديانية اللاهورية، وهو مُنَظِّر القاديانية وجاسوس الاستعمار(*) والقائم على المجلة الناطقة باسم القاديانية، قدم ترجمة محرفة للقرآن الكريم إلى الإنجليزية. من مؤلفاته: **حقيقة الاختلاف، النبوة(*) في الإسلام** على ما تقدم.

● محمد صادق: مفتي القاديانية، من مؤلفاته: **خاتم النبيين**.

● بشير أحمد بن الغلام: من مؤلفاته **سيرة المهدي، كلمة الفصل**.

● محمود أحمد بن الغلام وخليفته الثاني: من مؤلفاته **أنوار الخلافة، تحفة الملوك، حقيقة النبوة**.

● كان لتعيين ظفر الله خان القادياني كأول وزير للخارجية الباكستانية أثر كبير في دعم هذه الفرقة الضالة، إذ خصص لها بقعة كبيرة في إقليم بنجاب لتكون مركزاً عالميًا لهذه الطائفة وسموها ربوة استعارة من نص الآية القرآنية ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾. [المؤمنون: ٥٠].

الأفكار والمعتقدات:

● بدأ غلام أحمد نشاطه كداعية إسلامي حتى يلتف حوله الأنصار ثم ادعى أنه مجدد وملهم من الله ثم تدرج خطوة أخرى فادعى أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود ثم ادعى النبوة وزعم أن نبوته أعلى وأرقى من نبوة سيدنا محمد، ﷺ.

● يعتقد القاديانيون أن الله يصوم ويصلي وينام ويصحو ويكتب ويخطىء ويجامع ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ.

● يعتقد القادياني بأن إلهه(*) إنجليزي لأنه يخاطبه بالإنجليزية.

● تعتقد القاديانية بأن النبوة(*) لم تختم بمحمد، ﷺ، بل هي جارية، والله يرسل الرسول حسب الضرورة، وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء جميعاً.

● يعتقدون أن جبريل عليه السلام كان ينزل على غلام أحمد وأنه كان يوحى إليه، وأن إلهاماته كالقرآن.

● يقولون لا قرآن إلا الذي قدمه المسيح الموعود (الغلام)، ولا حديث إلا مايكون في ضوء تعليماته، ولا نبي إلا تحت سيادة غلام أحمد.

● يعتقدون أن كتابهم منزل واسمه **الكتاب المبين** وهو غير القرآن الكريم.

● يعتقدون أنهم أصحاب دين(*) جديد مستقل وشريعة مستقلة وأن رفاق الغلام كالصحابة.

● يعتقدون أن قاديان كالمدينة المنورة ومكة المكرمة بل أفضل منهما وأرضها حرم وهي قبلتهم وإليها حجهم.

● نادوا بإلغاء عقيدة الجهاد(*) كما طالبوا بالطاعة العمياء للحكومة الإنجليزية لأنها حسب زعمهم ولي الأمر بنص القرآن.

● كل مسلم عندهم كافر حتى يدخل القاديانية، كما أن من زوج أو تزوج من غير القاديانيين فهو كافر.

● يبيحون الخمر والأفيون والمخدرات والمسكرات.

الجذور الفكرية والعقائدية:

● كانت حركة(*) سير سيد أحمد خان التغريبية قد مهدت لظهور القاديانية بما بثته من الأفكار المنحرفة.

● استغل الإنجليز هذه الظروف فصنعوا الحركة القاديانية، واختاروا لها رجلاً من أسرة عريقة في العمالة.

● في عام ١٩٥٣م قامت ثورة(*) شعبية في باكستان طالبت بإقالة ظفر الله خان وزير الخارجية حينئذ، واعتبار الطائفة القاديانية أقلية غير مسلمة، وقد استشهد فيها حوالي عشرة آلاف من المسلمين، ونجحوا في إقالة الوزير القادياني.

● وفي شهر ربيع الأول ١٣٩٤ هـ الموافق إبريل ١٩٧٤م انعقد مؤتمر كبير برابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وحضره ممثلون للمنظمات الإسلامية العالمية من جميع أنحاء العالم، وأعلن المؤتمر كفر هذه الطائفة وخروجها عن الإسلام، وطالب المسلمين بمقاومة خطرها وعدم التعامل مع القاديانيين وعدم دفن موتاهم في قبور المسلمين.

● قام مجلس الأمة في باكستان (البرلمان المركزي) بمناقشة زعيم الطائفة مرزا ناصر أحمد والرد عليه من قبل الشيخ مفتي محمود يرحمه الله. وقد استمرت هذه المناقشة قرابة الثلاثين ساعة عجز فيها ناصر أحمد عن الأجوبة، وانكشف النقاب عن كفر هذه الطائفة، فأصدر المجلس قرارا باعتبار القاديانية أقلية غير مسلمة.

● من موجبات كفر(*) الميرزا غلام أحمد الآتي:

- ادعاؤه النبوة(*).
- نسخه فريضة الجهاد(*) خدمة للاستعمار.

- إلغاؤه الحج إلى مكة وتحويله إياه إلى قاديان.
- تشبيهه الله تعالى بالبشر.
- إيمانه بعقيدة التناسخ(*) والحلول(*).
- نسبته الولد إلى الله تعالىٰ وادعاؤه أنه ابن الإله!.
- إنكاره ختم النبوة بمحمد، ﷺ، وفتح بابها لكل من هبَّ ودبَّ.

● للقاديانية علاقات وطيدة مع إسرائيل، وقد فتحت لهم إسرائيل المراكز والمدارس ومكنتهم من إصدار مجلة تنطق باسمهم وطبع الكتب والنشرات لتوزيعها في العالم.

● تأثرهم بالمسيحية(*) واليهودية والحركات الباطنية(*) واضح في عقائدهم وسلوكهم على الرغم من ادعائهم الإسلام ظاهريا.

الانتشار ومواقع النفوذ:

● معظم القاديانيين يعيشون الآن في الهند وباكستان، وقليل منهم في إسرائيل والعالم العربي، ويسعون بمساعدة الاستعمار(*) للحصول على المراكز الحساسة في كل بلد يستقرون فيه.

● وللقاديانيين نشاط كبير في أفريقيا، وفي بعض الدول الغربية، ولهم في أفريقيا وحدها ما يزيد على خمسة آلاف مرشد وداعية متفرغين لدعوة الناس إلى القاديانية، ونشاطهم الواسع يؤكد دعم الجهات الاستعمارية لهم.

● هذا وتحتضن الحكومة الإنجليزية هذا المذهب(*)، وتسهل لأتباعه التوظف بالدوائر الحكومية العالمية في إدارات الشركات والمفوضيات، وتتخذ منهم ضباطاً من رتب عالية في مخابراتها السرية.

● نشط القاديانيون في الدعوة إلى مذهبهم بجميع الوسائل وخصوصاً الثقافية منها، إذ إنهم مثقفون ولديهم كثير من العلماء والمهندسين والأطباء. ويوجد في بريطانيا قناة فضائية باسم التلفزيون الإسلامي يديرها القاديانية.

ويتضح مما سبق:

أن القاديانية دعوة ضالة، ليست من الإسلام في شيء، وعقيدتها تخالف الإسلام في كل شيء، وينبغي تحذير المسلمين من نشاطهم، بعد أن أفتى علماء الإسلام بكفرهم.

مراجع للتوسع:

- **القاديانية**، إحسان إلهي ظهير.
- **القاديانية**، أبو الحسن علي الحسني الندوي، أبو الأعلى المودودي، محمد الخضر حسين.
- **تاريخ القاديانية**، ثناء الله الأمر تسري.
- **سوداء القاديانية**، محمد علي الأمر تسري.
- **فتنة القاديانية**، عتيق الرحمن عتيق (قادياني ـ سابقا).
- **المذهب القادياني**، إلياس برني.